بَلَاغَةُ الِالْتِفَاتِ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(دراسة تفسيرية)

تأليف الأستاذ

عمارة عبدالمالك

(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤م)

بَلَاغَة الالْتِفَات

فِي الْقُرآن الْكَرِيم

(دراسة تفسيرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحم

قَال تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) الزمر ٢٣

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمد لله الْقَائِل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أنزلَهُ علَى عَبْدِه، تَبْصرَة لأُولِي الألْبَابِ، وَأوْدعهُ من فُنُون الْعُلُوم والْحِكَم الْعجَب الْعُجَاب، وجَعلَهُ أجَلّ الْكتُبِ قَدْرا، وأغْزَرها عِلْما، وأعْذَبهَا نظْما، وأبْلغهَا فِي الْخِطَابِ، قرْآنا عرَبِيًّا، غير ذِي عِوج، وَلاَ مَخْلُوق، لاَ شُبهَة فيه وَلاَ ارْتِيَاب. وأشْهدُ أن لا الَه إلاَّ الله وحْدَه، تَفرَّد بمُلكِه لاَ شرِيكَ لَه، هُوَ رَبّ الأرْبابِ، عَنَت لِقَيُّومَتِه الْوُجُوه، وخَضَعت لعظمَتِه الرِّقاب، والصَّلاَة والسَّلام عَلى منْ لا نَبي بَعْدَه، أرْسلَهُ من أكْرَم الشُّعوب، وأشْرَف الشِّعَابِ، لخير أمَّة تَدبَّرَت فِي آياتِ أفْضَل كِتَاب، صلَّى اللهُ عَليه وعَلى آله وصَحْبِه ومنْ تبِعَهم بإحْسَان إلى يومِ الْمآب.

وبَعد:

فَإنَّ الْقرْآن الْعَظيم لاَ تَنْقضِي عَجَائبه، ولا تَنْتَهِي مَعَارفه، عَطاؤُه لا ينْفَد، علُومه تتَجدَّد، وفيضه يتدفَّق، كلَّمَا تدبَّره الْمُسْلم وتَمعَّن فيه زادَهُ شَوْقا، وفتح عليْه من الْعُلوم الشَّيء الْعظِيم. وأهْل الْعلم يتَدبَّرُون آيَاته، ويستخْرجُون حِكَمه، ويستنْبطُون أحْكَامه، ويكْشفُون وجُوه بلاَغته وصُور بيَانه وأساليبَ نُظمه.

وبهذا إرتأيْتُ إلاَّ أنْ أقِفَ عَلى الظَّواهر اللُّغوية في آيات الْقرْآن الْكَريم والإطِّلاع عَلى مَا كتبَه الْمفسِّرُون والْبلاغيُّون في هذا الْمجال، وهناكَ الْكَثِير ممَّنْ كتبُوا كُتبا نافعَة في معَاني الْقرْآن وتكلَّمُوا في فَوائده ليبسِّطُوا الْقَول في الإبَانة عن وجُوه الإعْجَاز والْكَمال في كتَاب الْعليِّ الْقَدير، وقَدْ برعُوا في لَطِيف ما أبْدعُوا وانْتهُوا إلى الْغاية فيمَا كتبُوا،

وبيَّنُوا أنَّه لا يُفْهم الْقرْآن إلاَّ بِعلُوم الْقرْآن التي بيَّنت وجُوه الْبلاغة والْكَمال في هَذا الْقرْآن. وقد تَابعتُ الْكثير ممَّا كُتب في البَلاغة والَّتي تشدُّ الْقَارئ إليْها، فكَان موضُوع **(بَلاغَة الالْتِفَات في الْقُرآن الْكَرِيم)** قد شدَّني وأصْبَح غَايتي لأَنْ أكْتبَ في هذا الْمجَال. فتابعْتُ مَا كَتبه عُلمَاء الإسْلام قَدِيما وحَدِيثا في الْقُرآن الْكَرِيم وعلُومه، وخَاصَّة لمَّا رأيْت كثرَة الْكتُب الْبَلاغيَّة وكتُب التَّفْسِير التي أشَارت إلى هَذه الظَّاهرَة حَاولْت أنْ أُشَارك في درَاسَة هَذه الظَّاهرَة البَلاغيَّة في الْقرْآن الْكَريم وأضَع (دِرَاسة تفْسِيرِيَّة للظَّاهرة) عَسى أنْ أُحْظى بثَواب الدَّارِيْن.

فَوضعْتُ بَحْثِي هَذا الذي يَحْتَوي عَلى ثلاَثة فصُول، ثم يَنْتهي ب خَاتمة.

الفصل الأول: مَاهية الالْتفَات

هَذا الفصْل بعنْوان مَاهِية الالتفات يضمُّ خَمْسة مبَاحث. وهذه المباحث مقسَّمة بحَسب مَا يحْتَويه الْفَصْل.

المبحث الأول: الإلْتفَات مَفْهومه ونَشْأَته وتطَور مصْطلحه

أولا: حقِيقَة الالْتفَات

ثانيا: مَفْهومه

ثالثا: نشْأَة الإلْتفَات، وتطَور مصْطلحه

١- القدمَاء

٢- المحْدَثون

أشرْتُ في هَذا المبْحث إلَى مَفْهوم الإلْتفَات ثم إلَى تطوره ومَا ذكَرهُ الْقدَماء من علمَائنا الأجلاَّء وأشَرْتُ إلَى التَّعْريف بهم في التَّهْميش، ثم المحْدثُون في الإشَارة إلى مَا ذكَرهُ الطاهر بن عاشور في هذَا الموضُوع.

بَعد تكْملة منهجيَّة الْبحْث وطرْحها حاولْت التَّطرق إلى بَعْض التَّعْرِيفَات والتي لهَا عَلاقة بالْبحْث منها:

٣- الْبَلاغة:

ا)- بلاَغة الْقرْآن الْكَرِيم:

الْقرْآن الْكَرِيم عَلى طُول أمَده، وكثْرة سُوره، نَزل متناسبًا في حُسْن بيَانه كَما قَال تعَالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر ٢٣]، ثمَّ قَال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

والْقرْآن الْكَرِيم يتصرَّفُ في فنُون كثيرة؛ مثْل الْوَعْظ، وإقَامة الْحجج، وشرْع الأحْكَام، والوَصْف، والْوَعد والْوَعيد، والقصَص، والإنْذَار، وغَير ذلك منَ الوُجوه الَّتِي تتَّصل بِالْهدَاية الْعَامَّة، فلاَ تتَفاوت فيها ألْفَاظه الرَّشيقَة، وأسَاليبه البَديعَة. الْقُرْآن الْكَرِيم بالغ الْغَاية من حُسْن الْبيَان، فَلا يَجِدُ فيه الرَّاسِخُ في نَقْدِ المُنْشآتِ البليغَة ما يَنْزِلُ عنِ الدَّرَجَةِ العُليا؛ بَلْ يُحِسُّ رُوحَ الْبَلاغَة التي لا يَحُوم عَلَيْها شَيْءٌ منَ التَّصَنُّع ساريةً في آيَاته وسُوره، سوَاء في ذلك تصْويره للْمَعاني، أوْ نُظم الألْفَاظ النَّاطقَة بها.

"معْجزات الأنْبياء انْقرضَت بانْقرَاضِ أعْصَارهم، فلَم يُشاهدهَا إلاَّ من حضَرها، ومعْجِزة القُرآن مسْتمرَّة إلَى يَوْم الْقيامة، وخَرقه الْعَادة في أسْلُوبه وبَلاغَته، واخْبَاره بالمغيّبَات. فلاَ يمر عصْر من الأعْصار إلاَّ ويَظهر فيه شيْء ممَّا أخْبر به أنَّه سيكون، يدلُّ على صحَّة دعْواه."[١]

[١]- جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١): ج٥، الإتقان في علوم القرآن، المملكة العربيَّة السَّعودية وزارة الشؤون الإسلامية والدَّعوة والإرشاد-، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، الأمانة العامَّة، الشؤون العلميَّة، ص١٨٧٤.

ومنْ مظَاهر بلاغَة الْقرْآن، أنَّه يورد القصَّة في أوفى درجَة من حسْن الْبيان، ثم يعِيدها في سورة أخْرى على حسَب مَا يقْتضيه مَقام الْوعْظ، حتى إذَا عقدت موازنة بين حكَايتها هنَا وحكَايتها هنَاك، وجدْتهما في مرْتبة واحدة من البَلاغة لا تَنزِلُ إحْدَاهُما عن الأخْرى بحَال، أمَّا البَلِيغ من البشَرِ، فقَد يسوق إليْك الْقصة في عبَارات أنيقة، ثم يريد أنْ يعيدها مرَّة أخْرى فإذا هي في درجَة من الْبراعَة منْحَطَّة عنْ درجَتها الأولَى.

ب)- الْبلاَغة اصْطلاحا:

"الْبَلاغَة من قَوْلهم: بلَغْتُ الْغايةَ إذا انْتهيتُ إليها وبلَّغتُهَا غيري. ومبْلغُ الشيء: مُنْتَهاه. والمبالغةُ في الشَّيء: الإنْتهاءُ إلى غَايته. فَسميَّت البلاَغةُ بلاَغة لأنَّها تُنْهي المعْنى إلى قلْب السَّامع فيفْهَمه."[1]

قَال تعَالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر٥]، ويعْني بالحِكْمة الْبالغَة الْقرْآن، جَعل سبْحَانه وتعَالى البلاَغة من صفَة الْحكْمَة، ولم يَجْعلها من صفَة الْحَكيم، ولاَ يجُوز أنْ يسَمَّى الله عزَّ وجلَّ بأنَّه بَلِيغ، إذْ لاَ يجُوز أنْ يُوصف بصفَة كان موضُوعها الْكلاَم.

٤- تعْريف عُلوم الْقرْآن:

لعُلوم الْقرْآن تَعْريفَان: وهي العُلوم الدِّينيَّة المسْتنْبطَة من الْقرْآن الْكريم. أمَّا الثَّاني فهو يُفيد المبَاحث المتَعلِّقَة بالْقرْآن الْكريم من جَوانبه، منها: نزوله، وتَرْتيبه، جمْعه وكتَابته، قراءته، وتَفْسِيره، واعْجَازِه، ونَاسِخه، ومَنْسوخِه ... "إنَّ عُلوم القرْآن خَمْسون علْما وأربَعمئَة وسبعة الآف علم وسبعُون ألْف علم، علَى عدد كلام

[1]- أبو هلال الحسن بن عبد الله سهل سعيد يحيى مهران العسكري: الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص٦.

الْقرْآن، مضروبة في أرْبعة. قَال بَعض السَّلف: إذ لكل كلمَة ظَاهر وباطن، وحد ومقطع، وهذا مطلق دون اعتبَار تراكِيبه ومَا بيْنَها من روابط. وهَذا ما لا يحْصَى ولا يعْلمَه إلاَّ الله عَز وجَل."[1]

قَال تعَالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة١٦-١٩]، وقَال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل٤٤].

المبحث الثاني: تَعْريف الالْتفَات:

أولا: الإلْتِفَات لغَة

ثانيا: الإلْتِفَات اصْطلاَحا

أشرْتُ إلَى تعْريف الإلْتِفَات بنَوْعَيه اللُّغَوي والاصْطلاحي مسْتَعِينا بمَا كُتب في بعْض المراجع.

المبحث الثالث: الالْتفَات في الْقرْآن الكَريم:

أولاً : في الضَّمَائر

ثانيا : في الأَفْعَال

ثالثا: في الأَعْدَاد

رابعا: الْتفَات (المشْهد، الشخْصيَّات، الحَدث، الزَّمَن، الجنْس، العاقل وغيْر العاقل، النَّصْب، (الحذْف والاثْبات)

الفصْل الثاني: أقْسَام الالْتفَات

في هذا الفصْل أقْسام الالْتِفات ويضمُّ ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الضَّمَائر

---

[1]- بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي- (ت٧٤٥-٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، ج٣، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج١، ص ٣١.

الأ ول: من التَّكلم إلَى الخطَاب

الثاني: من التَّكلم إلَى الغيبَة

الثالث: من الخطَاب إلَى التَّكلم

الرابع: من الخطَاب إلَى الغيبَة

الخامس: من الغيبَة إلَى التَّكلم

السادس: من الغيبَة إلَى الخطَاب

يضم المبْحث الأول ستَّة أجزاء في الضمائر.

المبحث الثاني: في الأَفْعَال

الأول: منَ الْفعل المَاضي إلَى فعل الأَمر

الثاني: منَ المضَارع إلَى فعل الأَمْر

الثالث: منَ الْفعل المَاضي إلَى المضَارع

الرابع: منَ المضَارع إلَى الْفعل المَاضي

الخامس: منَ الأَمْر إلَى المَاضي

السادس: منَ الأَمْر إلَى المضَارع

أمَّا المبحث الثَّاني هَذا يضمُّ ستَّة أجزاء وهي خَاصَّة بالأفعَال.

المبحث الثالث: الأَعْدَاد

الأول: الالْتفَات منَ خطَاب الوَاحد إلَى خطَاب الإثْنين

الثاني: الالْتفَات من خطَاب الوَاحد إلَى خطَاب الجَمْع:

الثالث: الالْتفَات من خطَاب الإثْنين إلَى خطَاب الوَاحد:

الرابع: الالْتفَات من خطَاب الإثْنين إلَى الجَمْع:

الخامس: الالْتفَات من خطَاب الْجَمْع إلَى الوَاحد:

السادس: الالْتفَات من خطَاب الْجَمْع إلَى التثْنية:

السابع: بنَاء الْفعل للْمفْعول بعد خطَاب فاعله أو تكْلمه.

يضم المبحث الثَّالث سبعة أجْزاء.

الفصل الثالث: أقْسَام أخْرَى للالْتفَات

أمَّا الفصْل الثَّالث والأخير فكَان بعُنْوان (أقسَام أخْرى للالْتفَات) يحْتوي الْفَصْل عَلى خمْسَة مَباحث وفي المبحْث الأول حَاولْت أنْ أُضيف عَمَّا كَتبَه احمد بسَّام ساعي- في كتابه (المُعْجزة) ط١(١٤٣٣هـ-٢٠١٢م). المعْهد العالمي للفكْر الإسْلامي. وما تطرق اليه في أقْسام الالْتفات ويضمُّ هَذا الْفصْل خمْسة مباحث واحد يَحْتَوي على ثمانية أجزاء. مقسَّمة بحَسب ما كَتبه صاحب الْكتاب فحاولْت قدر المسْتطاع أنْ أضيف دراسة تفْسيرية.

المبحث الأول: (المشْهد، الشَّخْصيَّات، الحدث، الزَّمن، الجنْس، العاقل وغير العاقل.)

الأ ول: الْتفَات المشْهَد

الثاني: الْتفَات الشَّخْصيَّات

الثالث: الْتفَات الحَدث

الرابع: الْتفَات الزَّمَن

الخامس: الْتفَات الجنس

السادس: الْتفَات الْعَاقل وغير الْعاقل

ما هُو جَديد في هَذه الأجْزَاء الدّراسَة التَّفْسيريَّة كما أشرْت وتقديم الشُّرُوحات وارَاء ما كُتب في بعض المراجع الأخْرى.

المبحث الثاني: موَاقع الالْتفَات في سورَة البقَرة

أولا: الْحوار مَع بنى إسْرائيل

ثانيا: التَّشْريع

أمَّا المبْحث الخامس فكان في الالْتفَات في سورَة الْبقرة ويضمُّ الجُزء الأوَّل الْحوار مَع بني اسْرائيل أمَّا الْجُزء الثَّاني فهو خَاص بالتَّشْريع.

المبحث الثالث: أسْبَاب الالْتفَات

المبحث الرابع: شرْط الالْتفَات وفَوائده

أولا: شَرْط الالْتفَات

ثانيا: فَوائد الالْتفَات

تنَاولْت في الْفصول الثَّلاثة ومبَاحثهَا مَا وردَ في الْقرْآن الْكَريم لهذه الظَّاهرَة البلاغَّية، معْتمدا عَلى الْواحد الأحد ثم بعض المراجع التي كتبَت عن الظَّاهرة. واعتمَدْت في الأصل في هَذا الْبحث عن قراءَة حَفص عن عَاصم (رَضي الله عَنهما) وكما انتقَلْت إلَى القرَاءات الأخْرى للْجَمْع بَينَ مَا تَحْتويه من مَواضيع في هَذا المجَال.

وفي الأخير، فمَا شعرْت برهْبة الْبَحْث وجلاَل اللَّحظات مثلمَا شعرت وأنا أقُوم بهذا الْعمَل خشيَة الزَّلَل والْخَطأ، ومنْ هنَا حاولْت مَا اسْتطعْت أنْ أُدقّق وخَاصَّة في الآيات الْقرآنية، والتي رتَّبتها ترتيبا حسب المصْحَف الشَّريف والمكتوب (بالرسم العثماني)، من الْفاتحَة الى النَّاس، فإنْ وقَع منّي خَطأ أوْ زلَلٌ- فأرْجو من الله الْعظيم المغْفرة ومن الْقَارئ قَبُول الإعْتذَار.

والله منْ ورَاء الْقصْد

عماره عبدالمالك

بَلَاغَة الْالْتِفَات في الْقُرْآن الْكَرِيم

الفصل الأول: مَاهية الْالْتفَات

المبحث الأول: الْالْتفَات: حقيقَته، مفْهومه ونشْأته وتطور مصْطلحه

أولاً: حقيقَة الالْتفَات

"وَهو نقْل الْكلاَم من أسْلوب إلى آخَر تطْرية واسْتدْرارا للسَّامع، وتجْديدا لنشَاطه، وصيَانة لخَاطره من الملَل والضَّجَر، بدوَام الأسْلوب الْواحد على سمْعه."[1]

ثانيا: مفْهُومه

يُعدُّ الالْتفَات فَناً منْ فنُون الْبلاَغة الْعَربيَّة، وْأسْلُوباً من أسَاليبهَا، وهو في اللُّغة، مأْخُوذ من الْتفَات الإنْسَان يمنة ويسرة؛ حيث يُقَال: الْتفتَ بوجهه، يُمنة ويُسرة، مَال به، ويُقَال: لَفَتَ وجْهه عن الْقَوم أي: صرفهُ، ويُقال: لفتُّ فلاناً عن رأْيه صرفْته عنْه، ومنْه الالْتفَات في المَفْهُوم البلاَغي.

ثالثا: نشْأَة الالْتفَات، وتطور مصْطلحه

١- القدمَاء:

تَنبَّه الْبلاغيُّون إلى الالْتفَات منْذُ وقْت مبَكر، ومن بَينهم "أبو زكريا الفراء"[2] في كتَابه معَاني الْقرْآن، إذ أشَار إلى مَعنى الالْتفَات من غَيْر أنْ يَنُص علَى تَسْميَّته.

---

[1]- أنظر البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق، ٣/٣٨٠.

[2]- أبو زكرياء الفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها، لأنه كان يفري الكلام، ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب "الأنساب"، وعزاه إلى كتاب" الألقاب" ت (٢٠٧هـ).

وأشَار إليه "أبو عبيدة معمر بن المثنى."[1] في سياق حَديثه في كتَابه (مجَاز الْقرْآن). الاَّ أنَّ أبو عبيدة لم يسمِّه بالالْتفَات، بل سمَّاه التَّرْك والتَّحويل. قال: "ومن مجَاز ما جَاءت مخاَطبته مخَاطبة الشَّاهد، ثم تُركت وحُوّلت مخَاطبته هذه إلى مخَاطبة الْغائب، قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس٢٢]، أي بكم."[2]

"وكَان أوَّل الْتقَاء لمعالَجة صور الالْتفَات وبمُصطلح الالْتفَات علَى يَد الخَليفة العَباسي "عَبدالله بن المعتز"[3] في –كتَاب الْبَديع- الذي ألَّفه سَنة أربع وسبعين ومئتين (٢٧٤هـ)"[4] أمَّا ابن المعتز تَطرَّق إلى هَذا الموضُوع في كتَابه (البديع)، وتنَاول الإلْتفَات وسَمَّاه– محَاسن الْكَلام- وعرَّفهُ ب "انْصراف المُتَكلم عن المخاطبَة إلى الإخْبار و عَن الإخْبَار إلى المُخاطبَة."[5]

أمَّا الأصْمعي[6] هو أوَّل من سمَّى هذا الأسلُوب (بالالْتفات).

---

[1]- أبو عبيدة معمر بن المثنى هو: أبو عبيدة التيمي النحوي كان اعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم وله عدة مؤلفات نحو (٢٠٠) مؤلف منها، مجاز القرآن، مآثر العرب، أيام العرب وطبقات الفرسان. توفي في البصرة سنة (٢٠٨هـ).

[2]- أنظر المجاز ٦٣/١.

[3]- ابن المعتز هو: عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد وهو أحد خلفاء الدولة العباسية، وكنيته أبو العباس، ولد عام (٢٤٧ هـ، ٨٦١م)، في بغداد، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضى بالله، ت (٢٩٦ هـ،٩٠٩م).

[4]- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيَّة، دار الفكر العربي للطَّبع والنَّشر، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ص١٦.

[5]- عبدالله ابن المعتز ت (٢٩٦هـ): كتاب البديع، دار المسيرة بيروت، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، ط٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ص٦٦.

[6]- الأصمعي هو: عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد المعروف بالأصمعي، أحد أئمة العلم باللغة والشعر، ولد بالبصرة (١٢٢هـ) ت (٢١٦هـ).

وهَذا "(ابن قتيبة)"[1] أشَار إلَيه في بَاب "مخَالفة ظاهر اللَّفظ معنَاه. أنْ تُخاطب الشَّاهد بشَيء، ثم تَجعل الْخطَاب له علَى لَفْظ الْغَائب. كقَوله تعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا﴾ [يونس٢٢]، والالْتفَات عنْدَهُ هُوَ من الضَّمَائر من الْغَائب إلى الْخطَاب، وكذَلك من الْخطَاب إلى الْغيبة، وكذَلك في الأفْعَال.

وأمَّا "قدَامة بن جعفَر"[2](ت٣٣٧هـ) "فَقد نحَى بمُصطلح الالْتفَات منحَى دلاليًّا آخرَ يختَلف عن ذلكَ الذي رأينَاهُ علَيه لدَى بن المعتز."[3]

ومن أصْحاب هذا الإتّجاه .. "الحاتمي"[4] (ت٣٨٨هـ) "وأبُو هلال العسكري"[5] (ت٣٩٥هـ) وَأبُو طَاهر البغدَادي (ت٥١٧هـ) وحازم "القرطاجني"[1] (ت٦٨٤هـ).

---

[1]- ابن قتيبة هو: أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد (٢١٣ هـ) (٢٧٦هـ)، أديب فقيه محدث مؤرخ، له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها.

[2]- قدامة بن جعفر هو: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله، من مشاهير البلغاء الفصحاء الذين يضرب بهم المثل في البلاغة، ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنان في علم المنطق والفلسفة. وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم البديع، وحمل لوائه، وتوضيح معالمه، وتحديد نهجه. ت (٣٣٧هـ).

[3]- حسن طبل: المرجع السابق. ص١٧.

[4]- الحاتمي هو: أبو علي محمد بن الحسن المظفر البغدادي ت (٣٨٨هـ) ويُلَقَّب بالحاتمي، هو كاتب وشاعر عربي عاش في العصر العباسي.

[5]- أبو هلال العسكري هو: أبو هلال العسكري وهو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران العسكري ت (٣٩٥ هـ). وكان شاعرا وأديبا له مؤلفات كثيرة، ويرجع نسبه إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، وهو تلميذه أيضا. ومن مؤلفاته (المحاسن في تفسير القرآن، ديوان المعاني).

أمَّا الحَاتمي والبغدَادي الإلتفَات عندَهم بمَعنى الإعْتراض، وأمَّا العَسكري فقَد قسَّم الالْتفَات إلى ضَرْبين فواحد أنْ يفْرغ المتكلم من المعْنى، فإذا ظننْت أنَّه يريد أنْ يجاوزه يلْتفت إليْه فيذكره بغير ما تقدم به ذكره."[٢] كمَا يُصَرح حازم– إلاَّ إذَا لم يَكُن الْقَصْد من ذكر الْغَرض الأول منذُ الْبدَاية أنْ يَكُون تمْهيدا أوْ سَببا لذكر الثَّاني، فَالصُّورَة الإلتفَاتيَّة هي: "أن يَجْمَع حَاشيَّتي كلاَميْن مُتبَاعدي المَاخذ والأغْراض، وأن ينْعطفَ من إحْدَاهمَا إلَى الأُخْرى انْعطَافا لطيفا من غير واسطَة تكُون توطئَة للصَّيرورَة من إحْدَاهما إلَى الآخَر على جهَة التَّحول."[٣]

الالْتفَات كَان معَرَّفا في وقْت مُبَكر، وقَد تعدَّدَت مُصْطلحَاته، ويعبّر عَنه بألْفَاظ مخْتلفَة كالصَّرف، التَّحويل أو المَجاز، أو مُخالفَة مُقْتَضى الظَّاهر، أو شجَاعة الْعَربيَّة كَما ذكَره (ابن الأثير.)[٤]. التي تعْنَي الإقْدَام في كل أمْر من الأمور، وحَاله كَحال الشُّجَاع الذي يتَقدَّم قوْمه في الأمور الصَّعْبَة.

وهكَذا نرَى أنَّ الْقُدمَاء رحمَهم الله قد تفَطَّنوا إلَى الالْتفَات منذ عَهْد بَعيد لإيصَال تلْك المعَاني بأدَق صوَره وأوْضَحها إلَى ذهْن

---

[١]- حازم القرطاجني هو: حازم بن محمد بن حازم أو أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني، ت (٦٨٤هـ)، كان شاعرًا وأديبًا أخذ عن الشلوبين وعنه أخذ جماعة منهم العبدري. قدم إلى قالب: مدينة تونس ومدح السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر، وأشهر قصائده له القصيدة الطائية. له تآليف منها: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء في البلاغة.)

[٢]- أنظر الصناعتين، ص٢٦٥.

[٣]- أنظر حسن طبل، المرجع السابق، ص١٨.

[٤]- ابن الأثير هو: نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين. ولد بالموصل وصنف كتبا عديدة، توفي سنة (٦٢٢هـ).

السَّامع أو الْقَارئ وهَذا الْقرْآن فيه الْعديد من مَواضع الالْتفَات بمخْتَلف أنْواعه.

٢- المحدَثون:

أمَّا النُّقَاد والبلاغيّين المعَاصرين لم يَكتُبوا عن الإلْتفَات بمَفهُوم جمَالي "إلاَّ بَعد عام (١٩٩٠م)."[١] ولاَ شَك أنَّ الْكتَابة عن الالْتفَات هي محل إضَافة في البحْث البلاَغي، أمَّا من حيْث المنهَج فَقد طبَّق الْبَاحث فيه– مَا أمْكَن– المنْهج التَّحْليلي الْفنيّ الذي يَجمعُ بَين النَّظَريَّة والتَّطبيق، أضف إلى ذلك الْتزَم الْبَاحث بمفْهوم البلاَغيّين الْقُدَماء للإلْتفَات وأسْلُوب شرحهم له.

ذَكر "الطاهر بن عاشور"[٢] في كتَابه (التَّحْرير والتَّنْوير) والذي يرَى أنَّ "الالْتفَات من أفَانين الْكلاَم وهو النَّقْل من التَّكلُّم أو الْخطَاب أو الْغيبة إلَى طَريق آخَر."[٣]

أمَّا في المَفهُوم الإصْطلاحي عند الْبلاَغيّين هو التَّعبير عن مَعنى بطريق من الطرق الثَّلاثَة: التَّكلُّم، والْخطَاب والْغيبة، وهو يعني هُنا التَّحوّل من أسْلوب في الْكلاَم إلَى آخَر مُخالف للأوَّل.

وبهَذا المفْهوم يكون الالْتفَات عندَ الْبَلاغيّين الْقُدَامى، هو الإنْتقَال في الْكلاَم من وَضْع إلَى وَضْع، أو من حَالة إلَى أخْرى؛ كَأن ينْتقل الْكلاَم من خطَاب الْحَاضر إلَى الْغَائب ومن خطَاب الْغَائب إلَى الْحَاضر،

---

[١]- أنظر الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، طاهر عبدالرحمن قحطان أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صنعاء، ص١٦٤.

[٢]- الطاهر بن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور (تونس، ١٢٩٦ هـ/١٨٧٩م)، (١٣٩٣ هـ-١٩٧٣م): عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة، تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته.

[٣]- المرجع نفسه، ص١٠٩.

ومن خطَاب المتكلم إلَى المخَاطب، ومن المخَاطب إلَى الْغَائب ... إلَى غير ذلكَ من صيَغ الانْتقَال التي تعْني التَّحوّل من صيغَة إلَى أُخْرى.

المبحث الثاني: تَعْريف الإلْتفَات

أولا: الالْتفَات لغَة

مَصْدَر الْتَفَتَ يَلْتَفتُ، والْتَفَت إلَى الشَّيء صرَف وجْهَه إلَيْه وأصْل الالْتفَات اللَّي وصَرْف الشَّيء عن جهَته المسْتقيمَة، والتَّلَفت: لَيَّ الْعنُق يُمْنة ويُسْرة."[1]

ثانيا: الالْتفَات اصْطلاَحا

تحَدَّث الْبلاغيُّون كَثيرا عَن ظَاهرة لُغَويَّة أدْخَلُوها في علْم المعَاني عُرفَت بفَن (الالْتفَات) والالْتفَات اصْطلاحاً: هو الإنْتقَال بالأسْلُوب من صيغَة التَّكلم أو الْخطَاب أو الْغيبَة إلى صيغَة أُخْرى من هَذه الصّيغ، بشَرط أنْ يَكُون الضَّمير في المُنتَقل إلَيه عَائداً في نفْس الأمْر إلَى المُلْتَفت عَنهُ، بمعنَى أنْ يَعُود الضَّمير الثَّاني علَى نَفس الشَّيء الذي عَاد إليه الضَّمير الأول، أي أنَّه هُو التَّحويل في التَّعبير الْكلامي من اتّجَاه إلَى آخر من جهَات أو طُرق الْكلاَم الثَّلاث: "التَّكلّم (الْخطَاب) الْغيبَة" مع أنّ الظَّاهر في مُتَابعة الْكلاَم يقْتَضي الإسْتمرَار على ملاَزمة التَّعْبير وفْقَ الطَّريقة المختَارة أوّلاً دون التَّحوّل عنهَا.

"بالنَّظَر في التَّعْريف اللُّغَوي للالْتفات، وأنَّه مرتَبط بحَركَة الإنسَان الْعضْوية وعدُوله في اتّجَاهاته يَمينا وشمَالا، إلَى هذَا المعنَى اللُّغَوي يَتضح المعنَى الإصْطلاحي للالْتفَات بأنَّهُ أيْضا مرتَبط بالتَّنقُّل في الْكلاَم من صيغَة إلَى صيغَة وبالتَّحوُّل من أسْلُوب الَى أسْلُوب."[2]

---

[1]- يوسف عبدالعزيز الشبل: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، دراسة تفسيريَّة، مجلة الدراسات القرآنية العدد (٢) ١٤٢٩هـ، ص٧.

[2]- المرجع نفسه، ص٨.

المبحث الثالث: الالْتفَات في الْقرْآن الْكَرِيم

لاَشَك أنَّ (الالْتفَات) في الْقرْآن الْكَرِيم فَنّ جَديد كليّا لم يعرفه الأدَب الْعربي قَبل نُزول الْقرْآن.

نَسْتَطيع الْقَوْل بأنَّه ظاهرَة من مظَاهر الإعْجَاز الْبلاَغي تفرَّد بها الْقرْآن، وهذا نظَرا إلى الْكثَافة التي يتردَّد بهَا هذَا الْفَن، وبأنوَاعه المختلفَة. ويَعدُّ الإلْتفَات أسلُوباً رفيعاً من أسَاليب الْقرْآن الْكَرِيم ، وهُوَ يعني إنتقَال الْكلاَم أو الْحَديث من أُسْلُوب إلَى آخَر أو من حَالة إلَى أُخْرَى، وأكْثَر ورُوده في الأمُور الآتيَة:

أولاً: في الضَّمَائر

أجْمَع البَلاغيُّون علَى ورُود الالْتفَات في الضَّمَائر، ويَكُون في إنْتقَال الْكلاَم أو التَّعبير من التَّكلُّم إلى الْخطَاب، ومن التَّكلُّم إلى الْغيبَة، ومن الْخطَاب إلَى التَّكلُّم، ومن الْخطَاب إلى الْغيبَة، ومن الْغيبَة إلى التَّكلُّم، وإلَى الْخطَاب، بشرْط أنْ يعُودَ الضَّمير الثَّاني علَى الضَّمير الذي يعُود علَيه الضَّمير الأوَّل. فهَذه التَّقْسيمَات ينتُج عنهَا أسَاليبَ بلاغيَّة للالْتفَات.

وتَقُوم تلك الأسَاليب عَلى إنْتقَال المعنَى من ضَمير إلى آخَر، وتشْمل ضَميرَ المتكلم وضَمير المُخَاطب وضَمير الْغَائب، وفَائدة الإنْتقَال في الْكلاَم هُنا كمَا ذكر "الزمخشري"[1]، هُوَ تَجْديدٌ ونشَاطٌ لحَال السَّامع والمتكلم من السُّأْم والضَّجَر من إتبَاع أُسْلوب واحد، وهَذا ما أكَّدَه

[1]- الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، المفسر النحوي اللغوي المعتزلي يلقب (جار الله) لأنه جاور بمكة زمانا. ولد بزمخشر قرية من قرى خوارزم . كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متقنا في كل علم، معتزليا، قويا في مذهبه، مجاهرا به، داعية اليه، حنفيا، علامة في الأدب والنحو. له (الكشاف) في التفسير ت (٥٣٨هـ). (أنظر البرهان في علوم القرآن ١٠٥/١).

حَازم القرطَاجني حَيث يَقول: وهُم يَسْأَمُون الإستمْرار علَى ضمير مُتكلم أو ضَمير مُخَاطب، فينتَقلُون من الْخطَاب إلى الْغيبَة، وكَذلك ... يتلاَعبُ المتكلم بضَميره فتَارة يجْعَله تاءً علَى جهة الإخْبار عن نفْسه، وتَارة يجْعَله كَافاً فيجعَل نفْسَه مخاطباً، وتَارة يجْعَله هاءً فيقيم نفْسَه مقَام الْغائب، فلذَلك كانَ الْكلاَم المتوالي فيه ضَمير مُتكلم أو مُخاطب فقَط لا يُسْتطَاب؛ وإنمَا يحسُن الإنْتقَال من بعضهَا إلَى بَعْض.

ثانيا: في الأفْعَال

وهنَاك أسَاليب أخْرَى كثيرَة للالْتفَات، وهيَ تعني: الإلْتفَات في الأفْعَال من المَاضي إلَى الأمْر، ومن المضَارع إلَى الأمْر، ومن المَاضي إلَى المضَارع، ومن الفعْل المضَارع إلَى فعْل الماضي، ومن الأمْر إلَى الماضي، ومن الأمْر إلَى المضَارع وهكَذا...

ثالثا: في الأعْدَاد

يتمَثَّل الالْتفَات في الأعْدَاد في انْتقَاله من خطَاب الْواحد إلَى الإثْنين، ثم إلَى الْجمْع والْعَكس وهكَذا ومن التثْنية الى الْواحد ..

رابعا: التفات(المشهَد، الشخْصيات، الحَدَث، الزمَن، الجنْس، العَاقل وغير العَاقل، النصْب، (الحَذْف والاثْبَات)

ويَعني الالْتفَات من مشْهَد إلَى مشْهَد آخرَ، وحَيْث ينتَقل الْحَديث من شخْص إلَى آخرَ دون انْذَار فلاَ نكَاد نتَبيَّن من منهُمَا المتكلم، ومنْ حَدث إلَى حَدث، ومنْ زمَن إلَى زمَن، فيتوحَّد المَاضي والْحَاضر والمستقبَل في زمَن واحد. وكَثيرا ما يأخذ الالْتفَات في الْقرْآن أشكَالا أكثَر تطوُّرا، ومن أشد هَذه الأشكَال بروزا وَلفْتا للنَّظر نَجد التَّذْكير حَيث نتوَقع التَّأْنيث، والتَّأْنيث حَيث نتَوقَّع التَّذْكير.

الفصل الثاني: أقْسَام الالْتفَات

المبحث الأ ول: الضَّمَائر

الأ ول

من التَّكلم إلى الْخطَاب

يقول "السُّيوطي"[1]: "قَال ابن القيم: تأَمَّل خطَاب الْقرْآن تَجد ملكا له الملك كله، وله الْحَمد كله، أزمَة الأمور كلهَا بيَده، ومَصْدرها منه، ومَردها إليه، مستَويًّا علَى الْعَرْش، لاَ يخْفىَ علَيه خافية من أقْطَار مملْكَته، عَالما بمَا في: نفوس عَبيده مطَّلعا علَى أسْرارهم وعلاَنيَّتهم."[2]

يقول "الزركشي"[3]: "وَوجهُه حَثّ السَّامع وبَعْثه على الإسْتمَاع حيْث أقبَل المتكلم عليه، وأنَّه أعْطَاه فضْل هنَاية تخْصيص بالْمواجهَة."[4]

كقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الانعام١٤]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- قلْ -أيُّهَا الرَّسُول- لهؤُلاء المشْركينَ معَ الله تعَالى غيره: أغيْر الله تعَالى أتَّخذ وليًّا ونَصيرًا،

---

[1]- السيوطي: هو الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت (٩١١هـ)

[2]- أنظر الاتقان، المرجع السابق، ١٥٠٢/٤.

[3]- الزركشي هو: الامام العلامة بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر، أبو عبدالله، المنهاجي الزركشي، التركي الأصل، المصري، الشافعي. أحد العلماء الاثبات، وعلم من أعلام القرآن والحديث وأصول الدين والفقه في القرن الثامن الهجري. ولد في القاهرة (٧٤٥هـ). بلغت مؤلفاته (٤٥) تصنيفا، منها (البرهان في علوم القرآن)، البحر المحيط .. توفي يوم الأحد ثالث رجب سنة (٧٩٤هـ) بالقاهرة. (أنظر البرهان في علوم القرآن ١١/١- ٣٠).

[4]- أنظر البرهان، ٣٨١/٣.

وهُو خَالق السَّمَوات والأرض ومَا فيهن، وهُوَ الذي يَرزُق خلقَه ولا يرزقه أحَد؟ قلْ -أيُّها الرَّسُول-: إني أُمِرْتُ أنْ أكُونَ أول مَن خضَع وانْقَاد له بالْعبُوديَّة من هَذه الأُمَّة، ونُهيت أنْ أكُون من المشْركين معَه غيْره.

يظهرُ الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ﴾ إلى الْخطاب في قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. "وراء هذا الالْتفَات التَّحْذير من الشّرك، والْوَعيد الشَّديد لمن أشْرَك بالله."[1]

وقَوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الانعام٧١-٧٢]، ﴿وَأُمِرْنَا﴾ أي: وأُمِرنَا جَميعًا لنسْلمَ لله تعَالى رب الْعالمين بعبَادته وحْدَه لا شريكَ له، فهو ربُّ كل شَيء ومَالكه.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم إلى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أُمرنَا بأَنْ نقيم الصَّلاة كَاملة غير منْقوصة.

وفائدَة الالْتفَات الأمْر مع النُّصْح والتَّوْجيه.

"النَّصْب عطْفا على محل قَوله: (إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ) على أنَّهما مقولاَن، كأنَّه قيلَ: قلْ هذَا الْقَوْل، وقلْ: أُمرْنا لنُسْلم. ﴿لِنُسْلِمَ﴾، اللاَّم: تعْليل للأمْر، بمعْنى أُمرْنَا، وقيل لنَا: أسْلمُوا لاجْل أنْ نسْلم."[2]

---

[1]- بسيوني عبدالفتاح فيود: من بلاغة النظم القرآني (دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع مدينة نصر القاهرة، ط١ (١٤٣١هـ-٢٠١٠)، ص ١٢٩.

[2]- جارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ): الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، مكتبة العبيكات، الرياض، ج٢/٣٦٣.

قوله: ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ "بأنْ ننْقَادَ لتوْحيده، ونسْتسْلمَ لأوامره ونواهيه، وندْخلَ تحْت رق عبوديته."[1]

وقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود٩٠]، أي: واطْلبوا من ربّكم المغْفرَة لذنوبكم، ثم ارْجعوا إلَى طَاعته واستمرُّوا عَليها. إنَّ ربّي رحيم كثير المودَّة والمحَبَّة لمن تَاب إليه وأَنَاب، يرْحمه ويقْبل توبتَه. وفي الآية إثْبَات صفَة الرَّحمة والمودَّة لله تعَالى، كمَا يَليق به سبحَانه.

موضع الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ إلى التَّكلُّم في قَوله: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾. "ولَعلَّ الْغرض من الالْتفَات الْقَصْد إلَى تنْزيه الله تعَالى، ودفْع توهُّم انْصراف صفَات الْجلاَل إلَى آلهتهم."[2]

وقَوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس ٢٢]، في الأَصْل (وإليه أَرْجع)، فالْتفَت من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿فَطَرَنِي﴾ إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾. "شرْط الالْتفَات أَنْ يَكون في جملتَين ﴿فَطَرَنِي﴾ و ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ كلاَم واحد."[3] قَوله تعَالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ "أي: ومَا المَانع لي من عبادة من هو المسْتَحق للْعبادَة، لأَنَّه الذي فطَرني، وخلقَني ورزقَني، وإليْه مآل جَميع الْخَلق."[4]

---

[1]- عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، دار السلام للنَّشر والتَّوزيع المملكة العربيَّة السَّعودية، ط٢، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م). ج٧، ص٢٩١.

[2]- أنظر عبدالفتاح بسيوني، ص١٣٠.

[3]- أنظر البرهان، ٣٨٢/٣.

[4]- أنظر السعدي، المرجع السابق، ٨١٦/٢٢.

تتَحدَّث الآية الْكريمَة عن حبيب ابن اسْرائيل النَّجار. وكانَ ينْصَح قوْمَه. ولهَذا أُخْرِج الْكلاَم هنا في سياق منَاصحَة المتكلم لنفْسه، وهو يريد نصْح قوْمه تلَطُّفاً وإعْلاماً أنَّه يريده لنفْسه، ثم الْتَفَت إليْهم لغَرض تخْويفهم ودعْوتهم إلى الله. ونبَّههم أنَّهم مثله في وجوب عبَادة من إليْه الرُّجوع. ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ومنْهم من ذهب أنَّها مبَالغَة في التَّهْديد، وأمّا الْفائدة التي ذكرِتْ فهيَ تَخْويفهم وتوبيخهم لِما هم عَليه من الضَّلاَلة ودعْوتهم إلى الله تعَالى، وللتَّنْبيه أيْضاً على أنَّه مِثلهم في وجوب عِبادَة من إليهِ الرُّجوع، وقِيل أيْضاً إنَّما أخْرج الْكلاَم بهذِه الصُّورة ليتلَطَّف بِقَومه ولأنَّه أدخل في أمْحاض النُّصْح حَيْث لا يرِيد لهم إلاّ مَا يرِيد لِنفْسه. فالآية إذنْ جَمعْت فَائِدتيْن التَّهْديد والتَّخْويف من جِهة والتَّلطُّف من جهة ثانيَة. ويبْقَى الْمقَام وأقْوال المفسِّرين همَا مَا يحْكم بَأيّهما أرْجَح في الدَّلالَة.

معْنَى الآية: وأيُّ شيء يمْنعني مِن أنْ أعْبد الله الذي خلقَني، وإليه تَصيرون جَميعًا؟

قال الزَّمخشري "مبيّناً أنَّ الْفَائدة هِي التَّلطُّف، أبْرز الْكَلام في معْرض المناصحَة لِنفْسه وهو يرِيد مناصحتهم ليتَلطَّف بهم ويداريهم ولأنَّه أدْخل في أمْحَاض النُّصْح حَيث لاَ يريد لهم إلاَّ مَا يريد لروحه، ولقد وضَع قَوله: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكَان قوله: مالكم لا تعبدون الذي فطَركم، ألاّ ترَى إلى قَوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولولا أنَّه قصَد ذلك لقَال: (الذي فطَرني وإليه أرْجع)"[1].

وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح ١-٢]، ولَم يقل: (لنغْفر لك)، فالْتَفَت من صيغَة التَّكلُّم إلى صيغَة

[1]- أنظر الكشاف، ٣١٨/٣.

الْخطَاب. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ -أيُّها الرَّسول- فتْحًا مبينًا، يظهَر الله فيه دينك، وينْصرك على عدوك، وهو هدْنة "الْحديْبية" التي آمَن النَّاس بسببها بعْضهم بعْضًا، فاتَّسعَت دائرة الدَّعْوة لدين الله، وتمكَّن من يريد الْوقوف علَى حقيقة الإسْلاَم مِن معْرفته، فدخَل النَّاس تلك المدَّة في دين الله أفْواجًا؛ ولذلك سمَّاه الله فتْحًا مبينًا، أي ظَاهرًا جليًّا. ويرشدك طريقًا مستقيمًا من الدين لا عوج فيه، وينْصرك الله نصْرًا قويًّا لا يَضْعُف فيه الإسْلاَم.

قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ "اللاَّم (لام التَّعْليل والصَّيرورة): فإنْ قلْت كيف جعَل فتْح مكَّة علَّة للْغفْران؟ قلْت: لم يجْعل علَّة للْغفْران، ولكن لإجْتمَاع مَا عَدد من الأمور الأرْبعَة، وهي: المغْفرة، وإتْمَام النّعْمَة، وهدايَة الصّراط المسْتقيم، والنَّصْر الْعَزيز."[1]

الثاني
من التَّكلم إلى الْغيبَة

"وَوجهُه أن يفْهَم السَّامع أنَّ هذا نمط المتكلم وقصْده من السَّامع، حضَر أو غابَ وأنَّه في كلاَمه ليْسَ ممن يتْلُون ويتَوجَّه، فيكُون في المضْمر ونحْوه لوْنَين، وأراد بالإ نْتقَال إلى الْغيبَة الإبْقَاء على المخَاطب."[2]

كقوله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة١٧٢]، ولمْ يقلْ: (ما رزقْتكم) أي: كلُوا من الأطْعمَة المسْتلذَّة الْحلاَل الَّتي رزقْنَاكم.

---

[1]- محمد عبدالخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، القسم الأول، الجزء الأول، ص١١٧٢.

[2]- أنظر البرهان، ٣٨٣/٣.

يظهر الالْتفات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾، ولم يقُل: (واشْكروا لي) "الذي رزقكموها والالْتفات لتربية المهابة."[1] أي: واشْكُروا لله علَى نعمه الْعظيمَة التي أنْعَم بها عليْكم. الإبْقاء على المخَاطب أي: المُؤمنُون وقوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾: "من مسْتَلذَّاته، لأنَّ كل ما رزقه الله لا يكُون إلاَّ حلاَلا."[2]

قوله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾: "(ما) موْصولة ولا يبعد أنْ يجوز فيها أنْ تكون مصْدرية فلاَ يحْتَاج إلى تقْدير ضمير، ويكون يطلق المصْدر على المفْعول، والأوَّل أسْبَق إلى الذهن."[3]

وقوله: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة٢١١]، الْبدَاية بالمُخاطب وهُو الرَّسُول الْكَريم- أي: سلْ أيُّها الرَّسُول- بني إسْرائيل المعَاندين لك والْجَاحدين، كم أعْطيْنَاهُم من آيات واضحَات في كتُبهم توجيههم وتهديهم إلَى الْحَق، فكفرُوا بهَا، وأعْرَضُوا عنهَا، وحرَّفُوها عنْ مواضعهَا.

الْتفَت من التَّكلُّم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾، أي: ومَن يُبدل دين الله.. ولم يقلْ: (ومن يبدل نعْمتي)، وهنا المعْنى وضع الاسم الْجليل موضع الضَّمير. قَوله: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾، "التي هي آياته الْباهرة فإنَّها سبب للْهدى الذي هو أجل النِّعم وتبْديلها

---

[1]- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ): تفسير السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مرايا القرآن الكريم)، ج١و ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان. ج١، ص١٩٠.

[2]- أنظر الكشاف، ٣٥٧/١.

[3]- أنظر عبدالخالق عضيمة، ق١، ج٣/ ص١٤٢٧.

جعلها سببا للضَّلالة."[1] قَوله: ﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ﴾: ولم يقلْ: (كم ءاتيْتهم).

"على أيْدي أنبيائهم وهي معْجزاتهم، أو من آيَة في الْكتُب شاهدَة على صحَّة دين الإ سْلاَم."[2]

وقَوله: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة ٢٥٣]، بداية الآية الإشَارة بالْبَعيد عن الْقَريب.

الْتفَات من صيغَة التَّكلُّم ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾، "استئناف فيه رمز إلى أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام من أفاضل الرُّسل الْعظام عليهم الصَّلاة والسَّلام."[3] إلى صيغة الْغيبة في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وهذه إشارة إلى الرُّسُل التي ذُكرت قصصها في السُّورَة ﴿بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾، وقيلَ: تفاضُل في الْحسَنات، ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖۚ﴾، "أي: ومنْهم من رفعَهُ على سائر الأنْبياء والظَّاهر أنهُ أرادَ محمَّداﷺ لأنَّهُ المفضَّل علىْهم، حيثُ أُوتي مَا لم يُؤته أحَد من الآيات المُتكاثرة المُرتقية الى ألْف آية أو أكثر. وفي هذا الإبْهام من تفْخيم فضْله وإعْلاَء ما لا يخْفَى، لما فيه من الشَّهادة على أنَّهُ الْعلم الذي لا يُشْتبَه، والمُتميز الذي لا يلْتبَس."[4] ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾، فضَّله أنْ كلَّمَهُ من غير وحْي، ومنهم من رفعهُ درجات ومنهم ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾. قوله:

---

[1]- أنظر إرشاد العقل، ج٢١٣/١.

[2]- أنظر الكشاف، ٤١٩/١.

[3]- أنظر إرشاد العقل، ٢٤٦/١.

[4]- محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، بيروت لبنان، ط٢ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، مج٢، ج٣، ص١٩.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: "لما أوْجب ذلك من تفاضُلهم في الْحسنات."[1]

وقوله: ﴿كَذَّبُواْ بِاٰيٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران١١]. أي: شأن آل فرعون والذين من قبْلهم من الْكافرين، أنْكرُوا آيات الله الْواضحة.

يظهر الالْتفات من التكلُّم في قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِاٰيٰتِنَا﴾ إلى الْغيبَة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾. ولم يقلْ: (فأخذْتهم) أي: فعَاجلهم بالْعقوبَة. ﴿كَذَّبُواْ بِاٰيٰتِنَا﴾: "تفْسير لدأْبهم ما فَعلوا وفعل بهم، على أنَّه جَواب سؤال مقدَّر عنْ حالهم."[2]

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ﴾ [آل عمران٥٦-٥٧]، الْتفَات من التَّكلُّم في قَوله تعالى: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فالتَّكلم أوَّلا ناسَب موضُوع الآيَة التي قبْلها في قَوله: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ﴾، إشَارة في الآيَة عن الذين كفرُوا بالمسيح من الْيهُود أو غَلَوا فيه من النَّصارى، فأُعذّبهم عذابًا شديدًا في الدُّنيا: بالْقتْل وسلْبِ الأمْوال وإزالة المُلك، وفي الآخرة بالنَّار، وما لهم مِن ناصر ينصُرهم ويدفعُ عنهم عذاب الله. فأمَّا الذين صَدَّقُوا بالله اعتقادًا وقَولا وعمَلا واسْتقَامُوا على شريعته فيُوفيهم ثواب أعْمالهم، ويزيدُهم من فضْله، وأمَّا الذين امْتنعُوا عن طاعة الله، واسْتكبرُوا عن التَّذلُّل له فيعذّبهم عذابًا موجعًا، ولا

---

[1]- أنظر الكشاف، ٤٧٧/١.

[2]- المرجع نفسه، ٥٣٠/١.

يجدُون لهم وليًّا ينجيهم من عذابه، ولا ناصرًا ينْصرهم من دُون الله.
"حيث كان الْكلام مع الْيهود الذين كفروا عيسى عليه السَّلام ثم ذكر المؤمنين وكان هذا عن طريق الالْتفات- فيوفيهم بالْياء وذلك على سبيل الالْتفات والْخروج من ضمير التَّكلم إلى ضمير الْغيبة للتَّنوع في الْفصاحة."[1]

قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ "أمَّا عذاب الدُّنْيا، فهو ما أصابهم الله به من الْقوارع والْعقُوبات المشاهدة والْقتْل والذّل، وأمَّا عذاب الآخرة فهو الطَّامة الْكبرى والْمصيبة الْعُظْمى."[2]

وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ١٤٠]، تحدَّثت الآيَة عن الأيَّام التي يُصَرفها الله بين النَّاس، نصْر مرَّة وهزيمَة أُخْرى، لما في ذلك من الْحكْمة، حتىَّ يظهر مَا علمَه الله في الأزل.

الْتفَات من التكلُّم في قوله: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾. قَوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾: "تلك مبتدأ، والأيَّام صفته،﴿نُدَاوِلُهَا﴾: خبره، ويجُوز أنْ يكون﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾: مبتدأ وخبرا، كما تقُول: هي الأيَّام تُبْلي كل جديد، والمُراد بالأيَّام: أوْقات الظَّفر والْغلبَة، ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: نصْرفُها بيْن النَّاس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤُلاء."[3]

---

[1]- معاذ مراد مقري: جامعة سيدي بلعباس- النص القرآني وبلاغة الاداء أسلوب الالتفات في سورة آل عمران، مجلة اشكالات، دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، ص٨.

[2]- أنظر السعدي، ج١٣٨/٣.

[3]- أنظر الكشاف، ٦٣٢/١.

وقوله: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران ١٥١]، أي: سنَقْذف في قُلوب الذين كفرُوا الْخَوف.

ويظهر الالْتفَات من التَّكلُّم في قَوله: ﴿سَنُلۡقِي﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿أَشۡرَكُواْ﴾، أي: بالله آلهَة مزعمَة. وهنا يُفيد الالْتفَات التَّخْويف مع الْوَعيد. قَوله: ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾" بسبَب إشْراكهم، أي: كان السَّبب في الْقَاء الله الرُّعب في قلُوبهم إشْراكهم به."[1] "والأمْر الْجلي هو ظهور لفْظ الْجلالة بأسْلوب الالْتفات."[2]

وقوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران ١٧٨-١٧٩]، يظهرُ الالْتفَات في قَوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ بصيغَة الْغيبَة وذلك بعد صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ حيث مُقْتضَى السياق- ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ولكن ظهُور لفْظ الْجلاَلة للإشْعار بعلَّة الْحكْم والمُراد هو عليه أي: ترْكهم مختَلطين لا يعْرفُون من منْهم المؤْمن ومن المنَافق فالْخطَاب للْمتَصدقين جميعا من أهْل الإخلاَص والنّفَاق كانَ في الأصْل (مَا كان الله ليذَر المُخْلصين منْكم على الْحَال التي أنتم عليهَا من إخْتلاط بعْضكُم ببَعْض). قَوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ

[1]- أنظر الكشاف، ٦٣٩/١.

[2]- أنظر مجلة إشكالات، ص٨.

لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ "أي: ولا يظُن الذين كفَرُوا بربّهم، ونابذُوا دينه، وحارَبُوا رسُوله إنْ تركنَا إيَّاهم في هذه الدُّنيَا، وامْلائنا لهم الْخير، ليسَ الأمْر كمَا زعمُوا، وانَّما ذلك لشر يُريدُه الله بهم."[1]

وقَوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء٣٠]، ﴿نُصْلِيهِ﴾: "بتخْفيف اللاَّم وتشْديدها، و(نصليه) بفتح النون من صلاَة يُصليه، ومنهُ: شاة مصْلية، (ويصليه) باليَاء والضَّمير لله تعَالى."[2] أي: ومنْ يرتكب ما نهى الله عنْه من أخْذ المال الْحرام كالسَّرقة والْغصب والْغش معتديًا متجاوزًا حد الشَّرع، فسوف يدخله الله نارًا يقاسي حرَّها، وكان ذلك على الله يسيرًا.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم في قوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارٗاۚ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾، أي: "لأنَّ الْحكمَة تدْعُو إليه، ولاَ صَارف عنْه من ظُلم أو نَحْوه."[3]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء٥٦]، في الآيَة الْكَريمَة إشَارة إلَى وصْف حَال الْكافرين في نَار جهنَّم، أي: الذين جحدوا ما أنْزل الله من آياته ووحْي كتابه ودلاَئله وحججه، سوْف ندْخلهم نارًا يقَاسون حرّها، كلما احْترقت جلودهم بدَّلْناهم جلودًا أخْرى؛ ليَسْتمر عذابهم وألمهم. إنَّ الله تعالى كان عزيزًا لا يمْتنع عليه شيء، حَكيمًا في تدْبيره وقضَائه. "التَّعْبير عن إدْراك الْعذاب بالذَّوق، ومن حيث أنَّه لا يدخله نُقْصَان بدوام الْملابسَة، أو الإشْعَار بمرارة الْعذَاب مع إيلاَمه، أو للتَّنبيه على

---

[1]- أنظر السعدي، ج١٦٨/٤.

[2]- أنظر الكشاف، ٦٢/٢.

[3]- المرجع نفسه والصفحة.

شدَّة تأثيره من حيثُ أنَّ الْقوَّة الذَّائقة أشد الْحَواس تأثيرا فقد حذف المُشبه به واسْتعَار شيئا من لوَازمه وهو الذَّوق."[1]

ويظهر الالْتفَات من التَّكلُّم في قَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء٦٤]، إلْتفَات من التكلُّم في قَوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ إلَى الْغيبَة ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، وفائدَة الالْتفَات الأمْر بطَاعة الرَّسُول والْغايَة من إرْسَال الرُّسُل أنْ يكُونوا مطَاعين. قَوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يخْبر تعَالى خبرا، في ضمْنه الأمْر، والْحث على طاعَة الرَّسُول، والإنْقياد له."[2]

وقَوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ [النساء١٢٢]، أي: والذين صَدَقوا في إيمَانهم بالله تعالى، وأتبعوا الإيمان بالأعْمَال الصَّالحة سيدْخلهم الله -بفضْله- جنَّات تجْري من تحت أشجارها الأنْهار ماكثين فيها أبدًا، وعْدا منَ الله تعالى الذي لا يخْلف وعْده.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾ إلَى الْغيبَة ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾، قَوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ "مصْدرَان: الأوَّل مؤكَّد لنَفْسه، والثَّاني مؤكَّد لغَيْره."[3]

وقَوله: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء١٣١]، أي: ولقد عهدْنَا إلَى الذين أُعْطُوا الْكتَاب منْ قبْلكم من الْيهُود والنَّصَارى، وعهدنَا إليكم كذَلك.

---

[1]- أنظر محمود صافي، مج٣، ج٦، ص٦٦.

[2]- أنظر السعدي، ج ١٩٩/٥.

[3]- أنظر الكشاف، ١٥١/٢.

موضع الالْتفَات إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾، أي: -يَا أمَّة محمَّد- عليكم بتَقوى الله تعَالى، والْقيام بأوامره. ويفيد الالْتفَات هُنا التَّوجيه للتَّقوى لنيْل المُراد. قَوله: ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾: "بأن اتَّقوا، وتَكون أنْ المفسرة، لأن التوْصيَة في معنَى الْقَول."[1]

وقوله: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة ١٤]، أي: فألْقينَا بينهُم الْعدَاوة والْبغْضَاء إلَى يوم الْقيامَة.

يظهر الالْتفَات من التكلُّم ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ﴾ إلَى الْغيبَة ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ﴾ أي: وسَوْف ينبئهم الله بما كانُوا يَصْنَعُون. قَوله: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾: "فألْصقنا وألْزَمنا من غري بالشيء إذا لزمَه ولصَق به وأغْرَاه غيره."[2]

وقَوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ [المائدة ١٥]، تُخاطب الآيَة أهْل الْكتَاب من الْيهُود والنَّصَارى، قد جائكُم رسولنَا محمَّدﷺ يبيّن لكم كثيرا ما أخْفَيتمُوه عن النَّاس ممَّا في كتبكم من (التَّورات والإنجيل)، ويترك بيَان مَا لاَ تقْتضيه الْحكمَة.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكريمَة من التَّكلُّم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾، أي: قدْ جَائكم من الله نور وكتَاب مبين وهو الْقُرْآن الْكَريم.

---

[1]- أنظر الكشاف، ١٦٠/٢.

[2]- المرجع نفسه، ٢١٧/٢.

وقَوله: ﴿وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام٣٤]، في الآيَة إشَارة إلى إيذَاء المسْلمين في سبيله، فصَبرُوا على ذلك ومضَوا في دَعْوتهم وجهَادهم حتىَّ أتَاهم نَصر الله.

موضع الالْتفَات من التَّكلُّم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾، وهي مَا أنْزل عَلى نَبيّه محمَّد ﷺ.

وقَوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام٣٨]، أي: مَا تركنَا في اللَّوح المحفوظ شَيْئا إلا أثْبتنَاه. قَوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا﴾: "مَا تركنَا، ومَا اغْفلنَا، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في اللَّوح المحْفوظ."[1]

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾، أي: يُحشر الْجَمْع يوم الْقيامَة إلَى ربّهم.

وقَوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الانعام٨٣]، أي: نَرْفعُ من نشَاء من عبادنَا في الْحيَاة الدُّنيا وفي الآخرَة. قَوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ "يعني: في العلْم والْحكْمة."[2]

يظهر الالْتفَات من التَّكلُّم في قَوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾، أي: إنَّ ربَّك حَكيم في تدْبير خلْقه عليم بهم.

وقَوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ [الأنعام ١٠٨]، أي: وكَما زيَّنَّا وحسَّنَّا لهؤُلاء عملهم السَّيء كعقُوبة لهُم، حسَّنَّا لكل أمَّة أعْمَالها. قَوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: "مثل ذلك

---

[1]- أنظر الكشاف، ٣٨٢/٢.

[2]- المرجع نفسه، ٣٦٩/٢.

التَّزيين زيَّنا لكل أمَّة من أمم الْكفَّار سوء عملهم، أو خليناهم وشأنهم."[1]

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا﴾ إلَى الْغيبَة في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾، أي: ثمَّ إلَى ربّهم معَادهم جَميعا.

وقَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الانعام ١١٢]، أي: ابتُلينَا جَميع الأنْبياء بأعْدَاء من مردَة قوْمهم وأعْدَاء من مردَة الْجن، يلْقي بعْضهم إلى بَعْض بالْقَوْل المزيَّن بالْبَاطل.

قَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾: "وكمَا خلَّينا بينَك وبين أعْدَائك، كذلكَ فعلنَا بمن قبْلكَ من الأنْبيَاء وأعْدَائهم، لم نَمْنعهم من الْعداوَة، لما فيه من الامْتحَان الذي هو سبَب ظهور الثَّبَات والصَّبر."[2]

يظهر الالْتفَات من التَّكلُّم في قوله: ﴿جَعَلْنَا﴾، إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾، أي: ولوا أرادَ ربك لحَال بينهُم وبين تلك الْعداوَة.

وقَوله: ﴿وَ لاَ تَتَّبع أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِاٰيَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الانعام ١٥٠]، في الْبدايَة المخَاطب الرَّسُول الْكريم- لاَ توافق أيُّها الرَّسُول الذين حكَّمُوا أهْوائهم، فكذَّبوا بآيَات الله. ﴿وَ لاَ تَتَّبع أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِاٰيَٰتِنَا﴾: "من وضع الظَّاهر موْضع المضْمر، للدَّلالة على أن من كذَّب بآيات الله، وعدل به غيره، فهو متَّبع للهوى لا غير، لأنَّه لو اتَّبع الدَّليل، لم يكن الاَّ مصدّقا بالآيات موحدا لله تعالى."[3]

---

[1]- أنظر الكشاف، ٣٨٦/٢.

[2]- المرجع نفسه.٣٨٩/٢.

[3]- المرجع نفسه.٤١٠/٢.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم إِلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾، أي: الذين بربّهم يشْركُون.

وقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الاعراف ٢٦]، أي: يَا بَني آدم قد جَعلْنا لكم لباسًا يستر عوراتكُم، وهو لبَاس الضَّرورة، ولباسًا للزِّينة والتَّجمل، وهو من الْكمَال والتَّنعم. ولباسُ تَقْوى الله تعَالى بفعْل الأوامر واجْتنَاب النَّواهي هو خيرُ لباس للمُؤمن. قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: "ولبَاس الْورع، والْخشْيَة من الله تعالى."[1]

موضع الالْتفات في الآيَة الْكريمَة من صيغَة التَّكلم إلى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: ذلك الذي مَنَّ الله به عليكُم من الدَّلائل على رُبُوبيَّة سُبحَانه وتعَالى.

وقوله: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف١٠١]، الْمُخاطب الرَّسُول ﷺ- في إطَار قصَص الْقرْآن الْكَريم وفي الآيَة إشَارة إِلَى أخْبار قُرى قَوم نُوح وهُود وصَالح ولُوط وشُعيب، ومَا كان من أمْر الرُّسُل التي أُرْسلَت إليهم، وهي عبْرة وتذْكرَة وازْدجَار للظَّالمين. ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾: "مثل ذلك الطبع الشَّديد نطْبع على قلوب الْكافرين."[2]

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إِلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾، أي: يخْتم الله على قُلوب هؤُلاء الْكَافرين.

---

[1]- أنظر الكشاف، ٤٣٥/٢.

[2]- المرجع نفسه والصفحة.

وقَوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الاعراف١٤٢]. المخَاطب الرَّسُول الْكَريم- بقَوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾، وفي الآيَة إشَارة الى نَبي الله مُوسى عليه السَّلام، ومَعنى الْقَول: الله سُبحَانه وتعَالى واعَد مُوسى لمُناجَاة ربّه ثلاثين ليلَة. "وروي أنَّ موسَى- عليه السَّلام- وعَد بني إسْرائيل، وهو بمصر إنْ هَلك الله عدوهم، أتاهم بكتاب من عنْد الله فيه بيَان ما يأتون وما يذرون، فلمَّا هلك فرعَون، سَأل موسى ربّه الْكتاب، فأَمَره بصوْم ثلاثين يوْما."[1]

يظهَر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾، ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا﴾، إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾، أي: فتمَّ مَا وقَّتَه الله لمُوسى لتكْليمه أرْبعين ليلَة. ﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: "ما وقته له من الوقت وضرب له."[2]

وقَوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الاعراف١٤٣]. في الآيَة إشَارة إلى بقيَّة ما يقصُّه سُبحَانه وتعَالى عنْ مُوسى علَيه السَّلام، ولمَّا جَاء في الْوقْت المحدَّد وهُو تمَام أرْبعين ليْلَة. ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: "منْ غير واسطة، كما يكلم الملك، وتكليمه: أنْ يخلق الْكلام منْطوقا في بعْض الأجرام، كما خلقه مخْطوطا في اللَّوح."[3]

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ﴾ إلى صيغَة الْغيبَة : ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، أي: كلَّمهُ من وحْيه ونَهْيه.

وقَوله تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ

---

[1]- أنظر الكشاف، ٢/٥٠٠.

[2]- المرجع نفسه والصفحة.

[3]- المرجع نفسه.، ٢/٥٠١.

وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف ١٥٨]، موضع الالْتفَات هُو في قَوله تعَالى: ﴿وَرَسُولِهِ﴾ بصيغَة الْغيبَة بعد أنْ كَان بصيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾، وكَان السياق يقتَضي أن يُقال: (آمنوا (بي)). "له فائدتَان: إحْداهمَا دفْع التهمَة عن نفْسه بالْعصبيَّة لهَا، والثَّاني تنْبيههم على اسْتحقَاقه الإتِّباع بمَا اتَّصف به من الصِّفَات المذكُورة، من النُّبوة والأميَّة، التي هي (أكبر دليل على صدْقه، وأنَّه لا يسْتحق الإتِّبَاع لذاته.)"[١]

وقوله: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الانفال١٩]، أي: وإنْ تعُودوا إلَى الْحَرْب وقتَال المسْلمين، نعد بهزيمتكم، ولنْ يُفيدكم جَمْعكم شَيْئا.

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾، إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: وأنَّ الله مع المؤمنين بتَأْييده لهم ونَصْرهم.

وقَوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس٢]، أي: أكَان للنَّاس أمْرا عجَبا أنْ أنزَل الْوحْي بالْقرْآن علَى رَجل منهم ينْذرهم ويبشِّرهم. " أي: أكان أمْرا عجبا للنَّاس إنْزالنا الْوحي بالْقرْآن على رجل منهم ينْذرهم عقاب الله."[٢]

موضع الالْتفَات منْ صيغَة التَّكلُّم إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي: أنَّ لهم أجْرا حسَنا بمَا قدَّموا.

---

[١]- أنظر البرهان، ٢٨٣/٣.

[٢]- أنظر السعدي، ٢٠٨/١١.

وقَوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، [يونس١١]. ولو يُعجِّل الله لِلنَّاس إجابة دعائهم في الشَّرّ كاسْتعجاله لهم في الْخير بالإجابة لهلكوا، فنترك الذين لا يخافون عقابنا، ولا يُوقنُون بالْبعث والنُّشُور في تمرُّدهم وعتوّهم، يتردَّدون حائرين.

موضع الالْتفَات هو قَوله: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، بصيغَة التَّكلم بعد أَنْ كَان بصيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿يُعَجِّلُ اللَّهُ﴾، وهو في الْوقْت نفْسه انْتقَال من الاسم إلَى الضَّمير. وفَائدته التَّشْديد في الْوَعيد.

وقوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس٤٦]، أي: فإليْنَا وحْدنا يرجع أمْرهم في الْحَالتين. "فَإِليْنا يرْجع أمْرهم في الْحالتين، ثم الله شهيد على أفْعالهم."[1]

موضع الالْتفَات الْعدول من صيغَة التَّكلُّم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: بعد الرُّجوع إليْنا الله شهيد عَلى أفْعَالهم التي كانوا يفْعلونَها في الدُّنيا.

وقَوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [يونس٦١]، وما يعْمَل أحَد من هَذه الأمَّة عمَلا من خير أو شر إلا كنَّا عليكم شهودًا مُطَّلِعين عَليه، إذْ تأْخذون في ذلك، وتعْمَلونه، فنحفظه عليكم ونجْزيكم به. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: "وما يبْعد، وما يغيب."[2]

---

[1]- أنظر السعدي، ٢١٤/١١.

[2]- أنظر الكشاف، ١٥٢/٣.

موضع الالْتفَات الْعدول من صيغَة التَّكلُّم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ أي: ومَا يغيب عن علْم ربِّك. وهنا الإبْقَاء علَى المخاطب ويفيد الالْتفَات التَّنْوير بعلْمه عَلاَّم الْغيوب.

وقَوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾ [يونس٩٣]، أي: ولقد أنْزلنا بني إسْرائيل منزلا صَالحًا مخْتارًا، ورزقْنَاهم الرّزق الْحَلال الطَّيب من خيرات الأرض المبَاركة، فمَا اخْتلفوا في أمْر دينهم إلاَّ مِنْ بَعد ما جَاءهم الْعلْم الموجب لإجْتماعهم وائتلاَفهم، ومن ذَلك ما اشْتملَت علَيه التَّوراة من الإخْبَار بنبوَّة محمَّدﷺ.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم إلى الْغيبَة عند قَوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾، أي: إنَّ ربَّك -أيها الرَّسول- يَقْضي بيْنَهم يوم الْقيامة. يفيد الالْتفَات إظْهار الْعدْل ولا يظْلم عنْدَ ربِّك أحَدا.

وقَوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس ٩٤] المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومَعْنى الْقَول: فإنْ كنْت -أيُّها الرَّسول- في ريْب من حَقيقة ما أخْبرنَاك به فَاسْأل الذين يقْرؤون الْكتَاب من قبْلك من أهْل التَّوراة والإنْجيل، فإن ذلك ثَابت في كتبهم. "وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ﴾ أي: الذي لا شك فيه بوجْه من الْوجوه ولهذا قال: ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾."[1]

[1]- أنظر السعدي، ٤٢٩/١١.

موضع الالْتفَات الْعدول من صيغَة التَّكلُّم الى الْغيبَة في قَوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: لَقد جَاءك أيُّها الرَّسول- الْحَق الْيَقين من ربّك.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود٦٦]، في الآيَة إشَارة إلى قصَّة النَّبي صَالح عليه السَّلام فلمَّا جاء أمْرنا بهلاك ثمود نجَّينا صالحًا والذين آمنوا معَه من الْهلاَك برحْمة منَّا، ونجَّينَاهم من هَوان ذلك الْيَوم وذلَّته.

موضع الالْتفَات الْعدول من صيغَة المتكلُّم إلى الْغيبَة في: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ المخَاطب الرَّسول الْكريم- أي: إنَّ ربَّك -أيُّها الرَّسول- هو الْقويُّ الْعزيز، ويفيد الإلْتفاف، إظْهار الْقوَّة والْعزَّة لله وحْده.

وقَوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود٨٢ -٨٣] المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومَعْنى الْقَول: وأمْطرنَا عليهم حجَارة من طين متصلِّب متين، قد صُفَّ بعْضها إلى بعض متتَابعة. "﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بنزول الْعذاب، وإحْلاله فيهم ﴿جَعَلْنَا﴾ ديارهم ﴿عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قلبْناها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي: من حجارة النَّار الشَّديدة الحرارة ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي. متتابعة، تتبع من شذ عن القرية."[1]

موضع الالْتفَات العدول من صيغَة التكلُّم في قَوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ بمَعْنى معلَّمَة عنْد الله بعلاَمة معْروفة لا تشاكِل حجَارة الأَرْض.

[1]- أنظر السعدي، ٤٤٥/١٢.

وقوله: ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ [الرعد٣٠]، الْبدَاية المخَاطب الرَّسول الْكريم- لتتْلو عَلى هذه الأمَّة الْقرْآن المنزَّل علَيك من ربّ الْعالمين.

الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ﴾، إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾، أي: وحَال قومك أيُّها الرَّسول- الْجحود بوحْدانيَّة الرَّحْمَن.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ [الرعد٣٧]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- وكمَا أنْزلنَا الْكتب على الأنْبياء بلسَانهم أنْزلنَا إليْك - أيُّها الرَّسول- الْقرْآن بلغة الْعرب؛ لتَحْكم به، ثم إشَارة إلَى المشْركين- ولئن اتَّبَعْت أهْوَاء المشْركين في عبَادة غيْر الله -بعد الْحق الذي جَاءك من الله.

الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم في قَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا﴾ إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، أي: ليْس لك نَاصر ينْصرك إلا الله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةًۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد٣٨]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى الرُّسل من قبْله وحَالتهم الإ جتماعية- لقَد بعثْنَا قبْلَك أيُّها الرَّسول- رسُلا من الْبشَر وجَعلْنا لهم أزْوَاجا وذريَّة. "كان الرُّسل قبْله بشرا مثْله ذوي أزْواج وذرية."[1]

[1]- أنظر الكشاف، ٣٥٦/٣.

ويظهر الالْتفَات في الآيَة من التَّكلُّم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: فلَيس في وسْع رَسول أنْ يَأتي بمعْجزات إلاَّ بإذْن الله.

وقَوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ [الرعد٤١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى الْكفَّار وطَمْص أعْينهم عن الْحَق- أولم يبْصر هؤلاء الْكفَّار أنَّا نَأتي الأرْضَ ننْقصها من أطْرافهَا، أي: بفتْح بلاد المشْركين والْحَاقها ببلاَد الإسْلاَم، وفي هَذا أقْوال منها: قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ "قيل: بإهْلاك المكذِّبين، واسْتئْصَال الظَّالمين، وقيلَ: بفتْح بلْدان المشْركين، ونقْصهم في أمْوالهم وأبْدانهم، وقيلَ غيْر ذلك من الأقْوال."[1]

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلُّم إلى الْغيبَة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾، أي: والله يحْكم لا معقب لحكْمه وقضَائه.

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [ابراهيم ١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- أي: هَذا الْقرْآن أوحيْنَاه إليك لتخْرج به البَشريَّة جمْعَاء من الضَّلال إلَى النُّور.

يظهر الالْتفَات في الآيَة من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بإذْن الله سبحَانه وتعَالى. وفائدَة الالْتفَات بيَّن سبحَانه وتعَالى بقَوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، مصْدر إنْزال الْكتَاب المشرَّع عَلى رَسوله. والنُّون للْعظَمة.

وقَوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [ابراهيم ٤]، المخَاطب

[1]- أنظر السعدي، ج١٣، ص٤٨٦.

الرَّسول الْكَريم- أي: ومَا أرْسلنَا من رسول قبْلك أيُّها الرَّسول- إِلَّا بلغة قوْمه، ليوضِّح ويبيّن لهم شريعَة الله.

يظهر الالْتفَات صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾، الى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ﴾، أي: فيضل الله من يشَاء عن الْهدى ويهدي من يشَاء إلى الْحق. ومن فوائدة الإلْتفَات في الآيَة هدْيه سبحَانه وتعَالى بعْد ما بيَّن للنَّاس طريق الْهدي والصَّواب.

وقَوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [ابراهيم٥]، في الآية الْكريمة إشارة الى بعْث موسى إِلَى بني إسرائيل، ..وأيَّدنَاه بمعْجزات تدل على صدقه، وأمرْنَاه أنْ يخْرج قومه من الضَّلال إِلَى الْهدى. " ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أي: بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقائعه بالْكافرين، ليشْكروا نعمه وليحْذروا عقابه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في أيام الله على الْعباد ﴿لآيات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: صبار في الضراء والعسر والضيق، شكور على السَّراء والنّعمة."[1]

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، إلى الْغيبَة في: ﴿وذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾، أي: وذكِّرهم بأيَّام الله ونعَمه ونقمه.

وقَوله تعَالى:﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل١٠١]، أي: وإذَا بدَّلنَا آيَة بآيَة أخْرى، والله الْخَالق أعلَم بمَصْلحة خَلْقه بمَا ينزله من الأحْكَام في الأوقَات المختلفة. "المقصود بالتَّبْديل في الآيَة هو النسْخ،

[1]- أنظر السعدي، ٤٨٨/١٣.

وهو أنْ ترفَع آية ويحل محلَّها آيَة أخْرى."[1] . ومَعْنى الْقول في الآيَة قَال الْكفَّار: إنَّمَا أنْتَ -يَا محمَّد- كاذب مختَلِق على الله ما لم يَقُلْه. ومحمَّدﷺ ليسَ كمَا يزْعَمون. بل أكثرهم لا عِلْم لهم برَبِّهم ولا بشَرْعه وأحْكَامه.

نلاَحظ أنَّ الالْتفَات من التكلم في قَوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ﴾. إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

"الالْتفَات في الآيَة قدْ جَاء منْتقِلا من أسْلوب التَّكلم والْعظمَة في قَوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ﴾. إلى أسْلوب الْغيبَة في ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾."[2]

ويفيد الالْتفَات بأنَّه سبحَانه وتعَالى هو الْعَالم بكل شَيء.

وقَوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾ [الاسراء١٢]، أي: وجعلْنا اللَّيل والنَّهار علاَمتين دالَّتين على وحْدانيَّتنا وقدرتنا، فمَحَوْنا علاَمة اللَّيل -وهي الْقمر- وجَعلْنا علامة النَّهار -وهي الشَّمْس- مضيئَة.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾ ليبْصر الإنسَان في ضوء النَّهار كيْف يتَصرَّف في شؤون معَاشه، ويخْلد في اللَّيل إلَى السَّكن والرَّاحة، وليعْلَم النَّاس -من تعَاقب اللَّيل والنَّهار- عدَد السّنين وحسَاب الأشْهر والأيَّام.

وقَوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ [الإسراء١٧]، في إطَار الْقصص الْقرْآنية، وكثيرا مَا أهْلكنا من الأمَم

---

[1]- أنظر الشبل، ص١٤٢.

[2]- المرجع نفسه، ص١٥.

من بَعد النَّبي نوح. "﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ فلا يخافوا منه ظلما وأنه يعاقبهم على ما عملوه."[1]

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾، إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾، وكفَى بربّك حسيبا.

وقَوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا * إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الإسراء٨٦-٨٧]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى قدرة الله ومشيئَته بمحْو الْقرْآن من قَلْب الرَّسول- والله قادر على ذلك، ولا يوجد نَاصرا ولاَ وكيلا.

الالْتفَات من صيغة التَّكلم في قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾، أي: لكن الله رحمَك. وفائدة الالْتفَات اسْتثْنى سبحَانه وتعَالى رحْمته التي تبقَى دوْما واسعَة كل شيء.

وقَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الكهف٢١]، من قصص الْقرْآن الْكَريم- في إشَارة الَى أصْحَاب الْكهف وكيف تمَّ الْعثور عليهم. يقول الندوي: "بعد أن مضَى عليهم (أصْحَاب الْكهف) ثلاث مائة وسبْع سنوات في عَهْد الأمبراطور، ثيودوسيس الثَّاني تقوم ثورَة يَقودها بعض المسيحيّين، وتنكر جمَاعة منْهم على رأسهم الْقس ثيودر عقيدَة بعث الأمْوَات، وإمكان حشر الأجْسَاد، فيفزَع ذلك الأمبراطور المسيحي ويشغَل باله، وهنَا يلهَم الله ملاَّكا إسمه أدوليوس أن يَبني زريبَة لغنَمه في الميدَان الذي يقَع فيه هَذا الْكهف، ويستخدم البنَّاؤون لبنَاء هَذه الزَّريبَة الْحجَارة التي سدَّ

[1]- أنظر السعدي، ٥٢٩/١٥.

بها هَذا الغَار، وهكَذا ينْكشف هَذا الكهف، ويوقظ الله هؤلاَء الشَّبَاب في هَذه السَّاعَة فيحظر ببالهم أنَّهم نَاموا ليلَة.[1]

ويواصل صَاحب الْكتَاب كلاَمه: يذهب أحَدهم (أصْحَاب الْكَهف) وهو ديوميدوس الَى المدينَة كالعَادة، ويقف حَائرا أمَام الصَّليب المنقوش على رتَاج المدينَة، حتى يضطَر إلى أن يسأَل أحَد السَّابلَة، هل هي مدينة أفسيس حقا؟ اشترى الطَّعام وقدَّم ثمَنه النقود التي كان يحملهَا، وهي الْعملَة التي كان يتعَاطاهَا النَّاس في عَهد ديسيس، ويعتقد صَاحب الدكان وأهل السوق أنَّ الشَّاب قد عثَر على ركاز قديم، ويريدون أَنْ يَكون لهم نصيب فيه، ويهددون الشَّاب ويخوفونه، ويقودونه من بَين وسَط المدينَة وأسْواقها، ويتألب عَليه النَّاس، ويبحَث الشَّاب في هَذا الجَمع الحَاشد عن رجل يَعرفه، فلا يجده، ويستخبره الأسقف حَاكم البَلد عن شأنه، فيخبره بالقصَّة بطولهَا، ويدعوهم إلَى أن يرافقوه إلَى الْكَهف، ويزور زملائه الآخَرين، فيرتَقون قلَّة الْجَبل، إلَى الْكَهف وهنَاك يجدون لوحَتين رصَاصيتين تصدقان قصَّة الشاب، فيدخلوا الْكَهف ويجدون زملاءه أحيَاء، يغشَى وجوههم النور والسَّكينة.[2] فخَاطب سبحَانه وتعالى الرَّسول الْكَريم- بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾، بصيغَة التَّكلم ثم يظهر الإلْتفَات الى الغيبَة بقوله: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾. وفائدة الإلْتفَات بيَّن سبحَانه وتعَالى وعْده حق وهوَ الْحَق.

وقَوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ

---

[1]- أبو الحسن علي الحسني الندوي: الصراع بين الايمان والمادية تأملات في سورة الكهف، الدار الشامية، لبنان بيروت، ط١ (١٤١٨هـ-١٩١٧م)

[2]- المرجع نفسه، ص٣٠.

ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرٗا﴾ [الكهف٤٥]، يمثل الْقرآن هَذه الْحيَاة الدُّنيَا بالزَّرع الذي لاَ يلْبث أنْ يَكون هَشيما. وهَذا هو تصْوير الْقرْآن لهَذه الْحيَاة الْقَصيرة الْفَانية.[1]

المخاطب الرَّسول الْكَريم- إشَارة في الآيَة الَى ذوي الْكبر من المشْركين، بأنَّ صفَة الدُّنيا التي اغتَروا بهَا في زينتها وسرعَة زوالهَا، فهي كمَاء أنزلَه الله من السَّمَاء فخرج به النَّبات بإذنه، واخضَرَّ، وما هي إلاَّ مدَّة حتىَّ يبس وصَار متكسّرا تنْسفه الرّياح إلَى كل جهَة.

موضع الالْتفَات من صغَة التكلم في قَوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، إلَى الْغيبَة في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرٗا﴾، أي: ذَا قدرة عظيمَة علَى كل شيء. وفَائدة الالْتفَات (اظْهَار قدرة الله الْقَوي الْعَزيز).

وقَوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم٧٧-٧٨]، المخاطب الرَّسول الْكَريم- وفي الآيَة إشَارة إلَى– الْعاص بن وائل- هذا الْكَافر وأمثَاله إذْ كفر بآيَات الله وكذَّب بها وقَال لأوتينَّ في الآخرَة أمْوالا وأوْلاَدا.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾، أي: اطَّلع الْغيب، فرآى أنَّ له مالا وولدا أمْ له عنْد الله عهْدا اتَّخذه بذلك. وفائدَة الالْتفَات تخبر الآيَة الْكَريمة أنَّه لا يعْلم الْغيب إلاَّ الله ولا يوجد من اتَّخذ عهْدا عندَ الله.

قَوله: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ * إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ * تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ [طه١-٤]،

[1]- أبو الحسن علي الحسني الندوي، المرجع السابق، ص٨٠.

المخَاطب الرَّسول الْكريم- أي: ما أنْزلنا عليْك- أيُّها الرَّسول- الْقرْآن؛ لتشْقَى بما لا طاقَة لك به من الْعمل. لكن أنْزلنَاه موعظة؛ ليتذكَّر به مَن يخَاف عقَاب الله، فيتَّقيه بأداء الْفرائض واجْتنَاب المحارم. هذا الْقرْآن تنْزيل من الله الذي خلَق الأرض والسَّموات الْعلَى. "ذكر جلالة هذا القرآن العظيم، وأنه تنزيل خالق الأرض والسماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي: فاقْبلوا تنزيله بغاية الإذْعان والمحبَّة والتَّسْليم، وعظّموه نهاية التَّعْظيم. وكثيرا ما يقرن بين الْخلق والأمْر، كما في هذه الآية."[1]

قَوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ "مجَازه مجَاز المقدم والمؤخر وفيه ضَمير، وله موضع آخر من المختصر الذي فيه ضَمير: ما أنزلْنَا عليك الْقرْآن إلا تذْكرَة لمن يخْشى لا لتشْقَى؛ والموضع الآخر: ما أنْزلنَا عليْك الْقرْآن لتشقَى، وما أنْزلنَاه إلا تذْكرة لمن يخْشَى ."[2]

نلاحظ أن الالْتفَات جَاء من التَّكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ ثم انْتقَل إلَى ضَمير الْغائب فقَال: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾.

"وقد جاء الإلْتفَات في الآيَات من أسْلوب التَّكلم إلَى أسْلوب الْغيبَة حيث أسْند الإنْزال إلَى ضمير التَّكلم فقال: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ ثم انْتقل إلى ضمير الْغائب فقال: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾."[3]

---

[1]- أنظر السعدي، ٥٨٤/١٦.

[2]- أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ): مجاز القرآن الكريم، ج١ و٢، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩/٢.

[3]- أنظر الشبل، ص١٦.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا *فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه١١٣ -١١٤] قَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ معْطوف على قَوله ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: مثل ذلك الإنْزَال أنْزلنَاه، أي: الْقرْآن حال كونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغَة الْعَرب ليفْهمُوه ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ بيَّنَّا فيه ضُروباً من الوعيد تخْويفاً وتهْديداً أو كرَّرنا فيه بعضاً منه. "مجازه بينا."[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: كي يخافُوا الله فيتجنَّبُوا معاصيه ويحذروا عقابه ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ أي: اعتباراً واتّعاظاً. وقيل ورعاً. وقيل شرفاً. وقيل طاعَة وعبادَة لأنَّ الذّكر يُطلق عليها.

عدول من صيغَة التَّكلم إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: لمَّا بيَّن للْعبَاد عظيم نعمَته عليهم بإنزَال الْقرْآن نزّه نفْسه سبحَانه وتعَالى عن ممَاثلة مخلوقَاته في شيء من الأشْيَاء، أي: جلّ الله عن إلْحَاد الملْحدين وعمَّا يقول المشْركون في صفَاته فإنَّه الملك الذي بيده الثَّواب والْعقَاب، وأنَّه الْحق أي: ذو الْحَق.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [طه١٢٧] قَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: مثل ذلك الْجَزاء نجْزيه. والإسْراف والإنْهمَاك في الشَّهوات. وقيل الشَّرْك.

يظهر الالْتفات من صيغَة التَّكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ﴾ أي: كذَّب بها.

وقَوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [طه١٣١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومعنى قوْل الآية: لا تنْظر إلى ما متَّعنا به هؤلاء

[1]- أنظر المجاز، ٣٦/٢.

المشْركين من المتع، لأنَّها متع زائلة، لنبْتليهم بهَا. ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ "زينة الدُّنيا وجمالها."[1]

يظهر الالْتفَات في الآيَة من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾، أي: ورزق ربّك وثوابه خيْر لك ممّا متَّعنَاهم به.

وقَوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الانبياء١٨ -١٩]، في الآية التَّكلم عن نفْسه سبحَانه وتعَالى قَوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾، أي: بلْ نقْذف بالْحَق ونبينه، فيدْحض الْبَاطل، فيضْمحل ويذْهب، وإشَارة في الآيَة إلَى المشْركين في قَوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، أي: ولكم الْعذَاب في الآخرَة.

ثم الْعدول إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: ولله من السَّمَاوات والأرض. " أخبر أنَّه له ملْك السَّماوات والأرْض وما بيْنهما، فالكل عبيده ومماليكه، فليْس لأحد منهم ملك ولا قسْط من الملك، ولا معاونة عليه، ولا يشفع إلاَّ بإذن الله، فكيْف يتَّخذ من هؤلاء آلهة وكيف يجعل لله منها ولد؟! فتعالى وتقدس، المالك الْعظيم، الذي خضعت له الرّقاب، وذلَّت له الصّعَاب، وخشَعت له الملائكة المقرَّبون، وأذْعنوا له بالْعبادة الدَّائمة المسْتمرة أجْمعون."[2]

وقَوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [الانبياء٣٢ -٣٣]، في الآيَة

---

[1]- أنظر المجاز، ٣٧/٢.

[2]- انظر السعدي، ٦٠٦/١٧.

الْكريمَة إشَارة إلى جعْل السَّماء سقْفا للأرض بدون عمَد، وهي محْفوظَة لا تسْقط، ولا تخْترقها الشَّياطين.

الْعدول إلَى صيغة الْغيبة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، أي: وهو الذي خلق اللَّيل والنَّهار، ليسْكن النَّاس فيه، والنَّهار ليطْلبوا فيه المعايش.

وقَوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ [الانبياء٤٧ -٤٩]، قوله: ﴿ءَاتَيْنَا﴾ ولم يقل: (ءاتيت) (النُّون) لعظمَته سبْحَانه وتعَالى وفي معْنَى قَول الآية: آتينَا موسى وهارون حجَّة ونصْرا على عدوهما، وكتَابا- وهو التَّوراة- فرَّق بين الْحق والْبَاطل، ونورا يهْتدي به المتَّقون،

ثم عدل إلى الْغيبَة في إشَارة إلَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾، وهم خائفون وجلون.

وقَوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [الحج٣٤]، في الآية إشارة إلَى جماعة مؤمنة خلْت، جعلْنا لها مناسك.

ثم عدل من التَّكلم في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾، إلى الْغيبة في قوله: ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾، أي: عندَ ذبْح الذَّبائح. وفائدة الالْتفَات التَّنبيه والتَّذْكير باسْم الله عنْد تقْديم النُّسك.

وقَوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فَيَنسَخُ الله مَا يُلقِي الشَّيطَانُ﴾ [الحج٥٢]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- في صيغَة التَّكلم في قَوله سبحانه وتعَالى قَوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ..﴾، أي: ومَا أرْسلنَا من قبْلك أيها الرَّسول- من رسول ولا نبي إلاَّ إذَا قرأ كتَاب الله أَلْقَى الشَّيطان في قرائته الوسْواس.

ثم عدل إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَيَنسَخُ الله﴾ أي: يبْطل الله كيْد الشَّيطان. وفائدة الالْتفات بيَّن سبحَانه وتعَالى في الآيَة الْكريمة انَّه لا مَكان للشَّيْطان عنْد الرُّسل.

وقَوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [المؤمنون١٤]، في الآيَة إشَارة إلَى خَلْق الإنْسَان، ثم أنشأْناه خَلقا آخَر إشَارة إلى مراحل الْخَلْق، بعد خلْق النطْفَة، ثم دما أحْمر، ثم الْعلَقة.

ويظهر الإلْتفَات في الآيَة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾، الذي أحْسَن كل شيء خلقَه.

وقَوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [المؤمنون٣٢]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- وفي الآيَة إشَارة إلَى الرُّسل المرْسلة منهم هود عليه السَّلام.

الْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة بقَوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: قَال لقَوْمه: اعبدوا الله وحْده ليْس لكم معْبود سوَاه.

وقَوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ﴾ [المؤمنون١١٥-١١٦]، مخَاطبة الْخَلْق- أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خلقْنَاكم مهملين لا أمْر ولا نهي ولا ثواب ولا عقَاب، وأنَّكم لا ترْجعون اليْنَا في الآخرَة للْحسَاب. "﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ أي: جلَّ وارْتفع وتقدَّس عنْ كل نقْص وآفة، ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي الملك وصْفه، والْخلق كلّهم مماليك له، وأحْكام الملك الْقدرية والشَّرعية، نافذة فيهم.

﴿الْحَقُّ﴾ أي: وجوده وملكه وكماله حق، فصفات الْكمال، لا تكون حقيقة إلا لذي الْجلال."[1]

[1]- أنظر السعدي، ٦٥٥/١٨.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾، أي: فتعَالى الله المتصرف في كل شيء وهو الْحقَّ ووعْده حق.

وقَوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [النور٥٤]، المخاطب الرَّسول الْكريم- ﴿قُلْ﴾،قلْ- أيُّها الرَّسول ثمَّ إشَارة إلى المؤْمنين بالطَّاعَة.

ويظهر الإلْتفَات من التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، أي: فَإن إنْصَرفوا.

وقَوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان٢٠]، وجعَلْنا بعْضكم لبعْض أيُّهَا النَّاس- إبتلاَء واخْتبارا بالْهدى والضَّلال، والْغنى والْفقْر، والصحَّة والمرض، هلْ تصْبرون.

ويظهر الإلْتفَات من صيغة التكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، أي: وكان الله بصيرا بمنْ يجْزع أو يصْبر.

وقَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ [الفرقان٣١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في إشَارة إلى أعْدائه من قَوْمه، ثم أشَار إلى أعْدَاء الأنبياء من قبْله.

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾، أي: وكفَى بِرَبِّكَ هاديا ومرْشدا ومعينا على أعْدَائك.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي﴾ [النمل٨٣-٨٤]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلى يوم الْحشر أو (الْجمْع)، نجْمَع من كل أمَّة فوج ممَّن يكذِّب بأدلَّتنا وحججنا، يحْبس أوَّلهم علَى آخرهم.

موضع الالْتفَات في الآيَة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي﴾، أي: حتَّى إذَا جمَعوا قَال: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي﴾، التي أنْزلتها علَى رسلي، وبالأدلَّة والْحجج التي أقمْتها عليكم.

وقَوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص٤٦]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومَا كنتَ أيُّها الرَّسول- بجانب جبل الطُّور حين ناديْنَا موسَى.

موضع الالْتفَات في الآية من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، أي: ولكنَّا أرْسلنَاك رحْمة.

وقَوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص٦١-٦٢]، في الآيَة إشَارة إلى الْخَلق ثم الإشَارة إلى الْحسَاب والْجزاء، ومعْنى الْقول: أفمَن وعدْنَاه مِن خَلْقنا على طاعته إيَّانا الْجنَّة، فهو ملاقٍ ما وُعِدَ، وصائر إليه، كمن متَّعناه في الْحياة الدنيا متاعها، فتمتَّع به، وآثر لذَّة عاجلة على آجلة، ثمَّ هو يوم الْقيامة من المحْضرين للْحسَاب والْجزاء؟ لا يسْتَوي الْفريقَان، فلْيختر الْعاقل لنَفْسه مَا هو أوْلى بالاختيَار، وهو طاعَة الله وابْتغَاء مرْضَاته.

الْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾، أي: ويوم ينَادي الله عز وجَل الذين أشْركوا به الأوْليَاء والأوْثَان في الدُّنيَا.

وقَوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ [القصص٧٥]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- في إشَارة إلَى جمْع الأمم يوم الْقيامة، ونزَعنا من كل أمَّة من الأمَم المكذبة شَهيدا - وهو نبيُّهم-، يشْهد علَى ما جرَى في الدُّنيَا من شرْكهم وتكْذيبهم

لرسلهم، فقلْنَا لتلك الأمَم التي كذَّبت رسلهَا وما جَاءت به من عند الله: هاتوا حجَّتكم علَى مَا أشْركتم معَ الله.

الْتفَات في الآية من صيغَة التَّكلم إلَى صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ أي: فعلموا حينئذ أنَّ الْحجَّة الْبَالغة لله عليهم، وأَنَّ الْحَق لله.

وقَوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت٣]، في الآيَة إشارة إلَى الأمَم السَّابقَة- ومعْنَى الْقَول: ولقد فتنَّا الذين من قبْلهم من الأمَم واخْتبرنَاهم، ممَّن أرْسلنَا إليهم رسلنَا، فليعْلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للْخَلْق صدق الصَّادقين في إيمانهم، وكذب الْكَاذبين.

الْتفَات في الآيَة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾، أي: ليميز كلَّ فريق من الآخر.

وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ [العنكبوت٤٠]، في إطَار قصَص الْقرْآن للتَّرْهيب بالإشَارة إلَى أقْوام كقَوم صالح وقوم شعيب، وقوم نوح وفرعَون وقَارون، منهم من أرْسلنَا عليهم ريحا شديدَة ترميهم بحجَارة من طين، ومنهم من أخذَته الصَّيحَة.

الْتفَات في الآيَة من التَّكلم إلَى الْغيبَة بقَوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾، ومَا كان الله بظَلاَّم لعبيده ومهْلكهم.

وقَوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت٦٩]، في الآيَة إشَارة إلَى الذين جاهَدوا أعْدَاء الله، وصَبروا علَى الْفتن والأذاء، سيهديهم الله إلَى سبل الْخَير. "أطْلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من

النفس الأمَّارة بالسُّوء والشَّيطان وأعْداء الدّين ﴿فِينَا﴾ في حقّنا ومن أجْلنا ولوجْهنا خالصا."[1]

الْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة بقَوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أي: وأنَّ الله لمَع من أحْسَن من خلْقه بالنَّصْرة والتَّأييد.

وقَوله: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان٢٣]، في الآيَة إشارة إلَى الْكفَّار ومرجعهم يوم الْقيامة إلَى الله، واخْبارهم بأعمَالهم الْخبيثَة.

موضع الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، أي: إنَّ الله عليم بما تكنّه صدورهم من كفْر.

وقَوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا * لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحزاب٧ -٨]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ذكر أيُّهَا النَّبي ثم إشَارة إلى النَّبيئين وأخذ الميثَاق منهم وقَال: حين أخذْنا من النَّبيئين الْعهد بتبْليغ الرِّسَالة، وأخذْنا الميثَاق منك ومن بقيَّة الأنْبياء –وهم أولوا الْعزْم من الرُّسل.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة إلَى الْغيبة في قَوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، أي: ليسْأل الأنبياء عن التَّبْليغ وبعْدها يجَازى من آمَن وصدَّق من أممهم.

وقَوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الاحزاب٤٥ -٤٦]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- معْنَى قول الآيَة: إنَّا

[1]- أنظر الكشاف، ٥٦٢/٤.

أرْسلنَاك شاهدا على أمَّتك بإبْلاغهم الرِّسَالة، ومبشّرا للمؤمنين منهم بالْجَزاء الْعَظيم.

موضع الالْتفَات في الآيَة من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: داعيا إلَى عبَادة الله وحْده.

وقَوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب٥٠]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم في قَوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾، الإشَارة إلَى المؤْمنين في أزْواجهم وأمائهم بألاَّ يتزوجوا إلاَّ أربع نسوة، ومَا شاؤوا من الإمَاء، واشْتراط المهْر والشّهود عليهم، ولكنَّا رخَّصْنا لك فيمَا أوجبْنَا عليهم، ووسَّعنا عليك لئلاَّ يضيق صدْرك.

يظهر الإلْتفَات من التَّكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أي: وكان الله غفورا للذُّنوب رحيما بالتَّوْسعَة.

وقَوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ٢١]، أي: ومَا كان لإبْليس على هَؤلاء الْكفَّار من قهْر علَى الْكفْر، ولكن حكْمَة الله إقْتضت تسْويله لبني آدم، ولنميز ما عمله وآمن بالْبعْث والْعقَاب ممن هو في شك من ذلك.

موضع الالْتفَات في الآية الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، أي: وربك يحْفظ ويجَازي.

وقَوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ٤٦]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة لهؤلاء المكذّبين المعَاندين، لنصْحهم وتوجيههم إلَى الْحق قل أيُّهَا الرَّسول- إنَّمَا أنْصح لكم أن تنْهظوا في طاعة الله إثْنين إثْنين وواحدا واحدا،

يظهر الإلْتفات في الآية الْكريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾، أي: فيمَا نسب إلَى الرَّسول الْكريم- من جنون.

وقَوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ﴾ [فاطر٣١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومعنَى الْقَول في الآيَة: والذي أنْزلنَاه إليك أيُّها الرَّسول- من الْقرْآن هو الْحق المصدق للْكتب التي أنْزلها الله على رسله قبلك.

يظهر الالْتفَات في الآية الْكريمة من التَّكلم إلى الْغيبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ﴾، أي: بلّغ أيُّها الرَّسول- أنَّ الله بعباده خبير بصير.

وقَوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر٣٢]، في الآية الْكريمة إشَارة إلَى هلاك الأمَم السَّابقة وتنزيل الْقرْآن الْكَريم على من اختارهم سبحَانه وتعَالى من أمَّة محمَّدﷺ وعدد الأصنَاف المختَارة: منهم ظالم لنفْسه بارْتكَاب المعاصي، ومنهم المؤدي للْواجبَات التَّارك للْمحرَّمات.

الْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، ومنهم السَّابق للْخيرات بإذن الله.

وقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ * أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾ [ص٨ -٩]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى المشكّكين- ومعْنَى الْقَول في الآية: بل هم في ريْب من وحْيي إليك، لوا ذَاق هؤلاء الْعذاب ما تجرَّؤوا على مَا قالوا.

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾، أي: أم يمْلك هؤلاَء خزائن فضْل الله.

وقَوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [ص٢٤]، في الآية الْكريمة إشَارة إلَى قصَّة نبي الله داوود عليه السَّلام- ومعْنَى الْقول: أيقَن داوود أنَّما فتنَّاه بالْخصومة الْواقعَة بين الأخوين.

الْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ أي: استغْفر ربَّه وأنابَ اليه.

وقَوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص٢٦]، المخَاطب نَبي الله داوود عليه السَّلام، ومعْنَى الْقَول: إنَّا اسْتخْلفناك في الأرض وملَّكناك فيها، فاحْكم بين النَّاس بالْعَدل.

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾، ولاَ تتَّبع هواك في الأحْكَام، فتضل عن سبيل الله. ولم يقل: (فتضل عن سبيلي). أراد الإبْقاء على المخَاطب.

وقَوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا﴾ [الزمر٢]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومعْنَى الْقَول: إنَّا أنْزلْنا ولم يقل: (أنْزلت) اليك الْكتَاب أيُّها الرَّسول- أي: الْقرْآن- يأمر بالْحق والْعَدْل.

الْتفَات من صيغة التَّكلم في: ﴿أَنزَلۡنَا﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا﴾، ولم يقل (فاعبدني) أي: فاعْبد الله وحْده، واخْلص له الْعبَادة.

وقَوله: ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر٥ -٦]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى الْكفَّار من قوم نوح وبقيَّة الأمَم الَّتي أعْلنت حربَها على الرُّسل، فعاقبْتهم، فانْظر أيُّها الرَّسول- كَيْف كان عقَابي.

يظهر الالْتفَات في الآية الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ولم يقل: (حقَّت كلماتي)، أي: حقَّ على الذين كفروا أنَّهم أصْحاب النَّار.

وقَوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [غافر٧٨]، المخاطب الرَّسول الْكريم- ومعْنى قول الآية: ولقد أرْسلنا من قبلك أيُّها الرَّسول- ثم الإشارة إلى الرُّسل قبْل محمَّدﷺ يدعون أقْوامهم، ويصْبرون على أذاهم، منهم أيُّها الرَّسول- من قصَصْنا عليك ومنْهم منْ لم نقْصص عليك، وكلهم مَأمورون بالتَّبْليغ.

الْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، أي: ومَا كان لأحد منهم (الرُّسل) أنْ يأتي بآيَة إلاَّ بإذْن الله.

وقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت٤٠]، في الآيَة إشَارة إلَى الملْحدين في آيات الله أي: الذين يميلون عن الْحق، فيكفرون بالْقرْآن ويحرّفونه، فنَحن مطَّلعون عليهم وعلَى ما يخْفونه، أألذي يلْقى في النَّار خير، أم الذي يأتي يوم الْقيامة آمنا وجلا من عذاب الله، إعْملوا ما شئتم.

الْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، والله يعلم ما تخْفيه الأنْفس ومَا تكنّه الصُّدور.

وقَوله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَ لَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ﴾ [فصلت٥٣]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى المكذبين بآيات الله، وعد سبحانه وتعالى رسوله

بقوله: سنري هؤلاء المكذبين آياتنا من الْفتوحات وانْتشار الإسْلام في كل المعْمورة، وفي أنْفسهم. حتَّى يتبيَّن لهؤلاء المكذّبين أنَّ الْقرْآن هوَ الْحق المنزَّل من عند الله.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، الَى صيغة الْغيبة في قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾، أي: لا شيء أكْبر شهَادة من شهادته سبْحَانه وتعَالى.

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدخان ٤- ٥- ٦]، والأَصل: (رحْمة منا).

تتحدَّث الآيَات عن اللَّيلة المبَاركة التي أنْزل فيها الْقرْآن، وهذه اللَّيلة مفرق كل أمْر حكيم.

وقَد عدل عن التَّكلم في قوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾. وفائدة الالْتفَات اظْهار رحْمته سبحَانه التي وسعَت كل شيء.

وقَوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية١٧]، في الآية الْكَريمة إشارة إلى بني إسْرائيل- وآتيانهم شرائع واضحات في الْحَلال والْحَرام، وبَراهين تبين الْحَق من الْباطل، ولم يكن بينهم اخْتلاَف، إلاَّ مَا جائهم الْعلْم، وقامَت الْحجَّة عليهم.

يظهر الالْتفات في الآية الْكريمة من صيغة التَّكلم الى الْغيبة في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾، المخاطب الرَّسول الْكريم- وقوله: إِنَّ ربَّك أيها الرَّسول- يقْضي بين المخْتلفين من بني إِسْرائيل يوم الْقيامة فيما كانوا فيه يخْتلفون.

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ * إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية١٨ -١٩]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- ومعْنَى الْقَول: إنَّا جعلْناك أيها الرَّسول- على شريعة ومنهاج واضح من أمْر الدين، فاتَّبع مَا جعلنَاك عليه، ولا تتَّبع أهواء الذين لا يعلمون، وفيه إشَارة عظيمَة على كمَال هذَا الدين.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾، وللابْقاء على المخَاطب، لفْتة وإشَارة إلَى المشْركين أنَّهم لن يغنوا عنك أيُّها الرَّسول- من عقَاب الله شيْئا.

وقَوله: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الاحقاف٢٦]، في الآيَة إشَارة إلى أسْبَاب عدم التَّمْكين في الدنيا لم نمكن كفَّار قريش منْها، ثم الإشَارة إلَى نعم الله التي أودعها فيهم من سمْع وبصر وَأفئدة.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: يجْحدون بنعَم الله السَّابقَة الذكر.

وقَوله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ * فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الاحقاف٢٧-٢٨]، في الآيَة إشَارة إلَى هلاك الْقرَى السَّابقَة كعَاد وثمود، وهي خاوية على عروشها، وبيَّنَّا لهم الآيَات والدَّلائل، لعلَّهم يرْجعون عمَّا كانوا عليه.

موضع الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فهل نصرتْهم الآلهَة التي كانوا يعْبدونها من دون الله.

وقَوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا * ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النجم٢٩-٣٠]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- فاعْرض أيُّها الرَّسول عن من تولَّى عنْ ذكْرنا أي: على الْقرْآن، ولم يرد إلَّا الْحياة الدنيا. وذلك مبْلغهم من الْعلم.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، إنَّ الله هو أعْلم بمنْ حَاد عن طريق الْهدى.

وقَوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر٩-١٠]، في الآيَة إشَارة إلَى نوح، لمَّا كذَّبه قوْمه وقَالوا: مجْنون، وانْتهروه وآذَوه.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾، فدعا نوح ربَّه أني ضعيف فانْتصر لي على كفْرهم.

وقَوله: ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ * فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة٧٣-٧٤]، في الآيَة تمَّت الإشَارة إلَى النَّار التي يوقدها هؤلاء إنَّها تذكرة بنَار جهَنَّم.

يظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، المخاطب الرَّسول الْكَريم- وأمره سبْحَانه وتعَالى بالتَّسْبيح لله الْعَظيم.

وقَوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد٢٢]، مخاطبة النَّاس- ومَا أصَابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنْفسكم إلَّا هو مكْتوب قبْل خلْق الْخَلائق.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي: عنْد الله يسيرا وسَهْلا.

وقَوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [الحديد٢٥]، الإشَارة إلَى الرُّسل المرسلة بالْحجج الْواضحَات، وأنْزلنا لهم الْحديد فيه بأس شديد ومنَافع للنَّاس،

الْتفَات من صيغَة التكلم إلَى الْغيبة في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾، وليعلَم الله علما ظَاهرا للْخلق من ينْصر دينه.

وقَوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الحشر٢١-٢٢]، الإشارة في الآيَة إلَى الْقرآن وفهْمه وتدبّر معَانيه.

الْتفَات من صيغَة التَّكلم إلى الْغيبَة في : ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾، أي: الْقادر والْعظيم.

وقَوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم١٢]، ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: "صرَّح بالْفرج (قلْنا) أخْطأ من تَوهَّم هنا الْفرج الْحقيقي، وإنَّمَا هو لطيف الْكنَايات وأحْسَنها، وهي كناية عن فرج الْقميص، أي لم يعْلق ثوبها ريبَة، فهي طَاهرة الأثْواب، وفروج الْقميص أرْبعة: الْكمَّان والأعْلى والأسْفل، وليْس المراد غيْر هذا."[1] الإشَارة إلى قصَّة من قصص الْقرْان الْعجيبَة، وهي قصَّة مريم ابنَت عمْران التي حفظَت فرجَها، وصانته، عن الزّنَى فأمَر سبحَانه وتعَالى جبْريل عليه السَّلام أنْ ينْفخ في جيب قميصها، فوصَلت النَّفْخة إلَى رحمها، فحملت بعيسَى عليه السَّلام.

[1]- أنظر البرهان، ٤١٦/٢.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾، أي: صدَّقت بكلمَات الله وكتبه المنزَّلة وعملت بشرعه.

وقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ * إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الاعلى٦ -٧]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- ومعْنَى الْقَول: سنقرئك هذَا الْقرآن قراءة لا تنْسَاها.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من التَّكلم في قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ إلى الْغيبة في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، أي: إلاَّ مَا شاء الله مما اقْتضَت حكْمته أنْ ينْسيه لمصْلحة يعْلمها.

وقَوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر١-٤]، الإشَارة إلَى ليلَة القدر ونزول الْقرْآن فيها، وهي ليْلة معظَّمة عند الله سبحَانه وتعَالى، ليلة مبَاركة.

يظهر الالْتفَات من التكلم في قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾، أي: نزول الملائكَة وجبْريل عليه السَّلام فيها بإذْن ربهم.

وقَوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر١-٢]، ومن هنا وقع الالْتفَات إلَى الْغيبَة الإبْقاء على الْخَاطب. "الإلْتفَات من ضمير التَّكلم إلى الْغيبَة، وأنَّه الأكثر شيوعا، والأوْسع انتشارا، وأنَّ الملاحظ في هذه الآيات وغيرها أنَّ ضمير التَّكلم في الْغَالب أنَّه ضمير عظمَة وأنَّه عائد على الْخالق"[1]. وهنا يخَاطب سبحَانه وتعَالى نبيَّه، ويقول له أنَّه أعطَاه نهرا في الْجنَّة لا يظما من يشرب منه، ويأمره

[1]- أنظر الشبل، ص١٤٦.

بالصَّلاة بجمع والنَّحْر بمنى. فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ بدلا من (فصلِّ لنا). "فخَصَّ هاتين الْعبادتين بالذّكر لأنَّهما من أفْضل الْعبَادات وأجل الْقربات."[1]

ومن هنا نسْتنتج أنَّ فائدَة الالْتفَات هي: التَّحريض على الطَّاعة الْكاملَة لله، والتَّقرّب منه بالصَّلاة.

"أمَّا الغَرض من هذا الالْتفَات إبْراز معنى التَّربية، والتَّصريح بلفظ (الرَّب) ففي التَّصريح به حث على تحقيق الْفعل المَأمور به، لأن من تكفَّل بالتَّربية والرعاية فهو جدير بالْعبادة، مستحق للصَّلاة المأمور بها."[2]

الثالث

من الْخطَاب الى التكلم

يجْري الْكلاَم على أسْلوب الْخطاب، ثم ينْتَقل إلى أسْلوب التكلم.

كقَوله تعَالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس٢١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- قل- أيُّها الرَّسول- لهَؤلاء المشْركين المسْتهزئين: الله أسْرع مكرًا واسْتدراجًا وعقوبة لكم. إنَّ حَفَظَتَنا الذين نرسلهم إليْكم يكْتبون عليكم ما تمْكرون في آياتنا، ثم نحَاسبكم على ذلك.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾.

---

[1]- أنظر السعدي، ج ٣٠ ، ص١١٠٥.

[2]- أنظر عبدالفتاح بسيوني، ص١٢٨.

وقوله:﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود٩٠].

في هذه الآيَة الْكَريمة يأمر شعيب قومه بالإسْتغفار والتَّوبة لله. قَوله: ﴿رَبَّكُمۡ﴾ بإضَافة الرَّب إلَى المخَاطبين.

يظهر الالْتفَات فقال:﴿إِنَّ رَبِّي﴾ بإضَافته إلى ضمير المتكلم.

وقَوله: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ * إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ [طه ٧٢-٧٣]، في الآيَة الْكَريمة تمَّت الإشَارة إلَى قصَّة فرعون والسَّحرة وقوَّة الله سبحانه وتعالى، فقَال السَّحَرة لفرعون: فافعل ما أنت فَاعل بنا، إنَّما سلطَانك في هذه الحيَاة الدّنيا، وما تفعله بنا، ما هو إلاَّ عذاب منتهٍ بانتهائها. ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖۖ﴾ "ممَّا أوعدتنا به، من القطع، والصَّلب، والعذاب."[1]

نلاحظ الالْتفَات من صيغَة التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾.

الرابع

من الْخطَاب الى الْغيبَة

يجْري الكلاَم على أسْلوب الْخطَاب، ثم ينتقل إلى أسْلوب الْغيبة.

كقَوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة٦١]،الإشَارة في الآيَة إلَى قوم موسَى بأنْ يهْبطوا من هَذه البَادية التي هم فيهَا إلَى أي مدينَة، تجدوا فيهَا ما اشْتهيتم، ولما هبطوا تبيَّن لهم أنهم يقدمون اختيارهم علَى اخْتيار الله.

[1]- أنظر السعدي، ٥٩٣/١٦.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله تعَالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾، إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾، أي: لذلك لزمَتهم صفة الذّل وفقْر النُّفوس. قَوله: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾، "أي: جَعلتا محيطتين بهم إحَاطة القبة بمَن ضربت عليه أو لصَقتا بهم."[1]

وقَوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة١٤٣]، الْتفَات من الْخطَاب إلى الْغيبَة. تتحدَّث الآيَة عن تغيير الْقبلة يخاطب فيها سبحَانه وتعَالى الرَّسول الْكَريم- قائلا: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَا﴾، أي:- بيْت المقدس- التي كنت عليها، ثم صرفْنَاك عنهَا إلَى الْكعبَة ب –مكَّة.

الْتَفت إلَى الْغيبة بقَوله سبحَانه : ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾، أي: ليظهر ما علمنَاه في الأزل، علما يتعلَّق بالثَّواب والْعقَاب، لنميز من يتَّبعك ويطيعك.

وقَوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [ال عمران٩]، هنَا خطَاب في الآيَة الْكَريمة في قَوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾، أي: ياربَّنا إنَّنا نقر بأنَّك ستجمع النَّاس في يوم لا شك فيه وهو يوم الْقيامة.

يظهر الالْتفَات إلَى الْغيبَة بقَوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾، أي: لا يخلف سبحَانه ما وعدَ به عباده. وجملة﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾، والاصل (إنَّك لا تخلف الميعاد) جاءت بصيغة الْغيبَة لأغراض بلاغيَّة، يحْتمل أن تَكون اخْبَارا من الرَّسول الكَريم وأمَّته. "بقول الالوسي تحليل لمضْمون الْجملة المؤكدة أو لانْتقَاء الريب وقيل تأكيد للْحكم

[1]- أنظر إرشاد العقل، ١٠٧/١.

السَّابق وإظْهار الاسم الْجليل مع الالْتفات إلى تعْظيم الموعود والإجْلاَل النَّاشيء من ذكر الْيَوم المهيب الْهائل.."[1]

وقَوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران ٣٦]، الالْتفَات في قَوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ بصيغَة الْغيبَة وهذَا بعد سياق الْخطَاب في قَول مَريم عليها السَّلام منَاجية سبحَانه وتعَالى بهذا النّدَاء الذي يحْمل التَّحسر والتَّلهف لسبَب أنَّ الأنثَى غير محرَّرة لخدمَة الْكنائس.

وقَوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران٤٧]، الالْتفَات في قَوله تعَالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ غيبَة بعد خطَاب مريم عليها السَّلام لله سبحَانه وتعَالى في قوْلها: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ﴾

وقَوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء٦٤]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- وتمَّت الإشَارة في الآيَة إلَى الذين ظلَموا أَنْفسهم باقْتراف السَّيئات، ومعْنَى الْقول: لوْا جاؤوك- أيُّها الرَّسول- تائبين سائلين الله المَغفرة.

الْتفَات من صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿جَآءُوكَ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، أي: اسْتغفرت لهم، وفائدَة الالْتفَات "تفخيم لشان الرَّسولﷺ وتعظيم اسْتغفَاره، والتَّنْويه بأنَّ شفاعَة واسْتغفَار من اسْمه (الرَّسول) من الله تعالى ."[2]

---

[1]- أنظر مجلة إشكالات، ص٧.

[2]- أنظر عبدالفتاح بسيوني، ص١٣٢ .

وقَوله: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [الاعراف٩٣]، المخَاطب قوم شعيب- في إطَار قصَص الْقرْآن – وفي الآيَة إشَارة إلى نبي الله شُعيب عليه السَّلام، حينما أعْرض عن قوْمه وأيْقَن بحلُول الْعذَاب بهم، فخَاطب قومه: لقد أبْلغْتكم رسالاتي ربي، ونصَحْت لكم.

يظهر الالْتفَات من صيغَة الْخطَاب إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾، أي: فكيف أحْزن على قوم كفَروا وجحَدوا وحدانية الْخالق.

وقَوله: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة٢٥ -٢٦]، المخاطب الرَّسُول الْكريم- في الآيَة إشَارة إلى غزوة -حُنين- والتَّذكير بما قَاله المسْلمُون: لن نُغلب الْيَوم من قلَّة، وغرَّتكم كثْرتكم ولكن لم تنْفعكم، وظهَر عليْكم الْعدو فلم تجدُوا ملجَأ في الأرض الْواسعَة وضاقت بكم ففَررْتُم منْهزمين.

عدول في الآيَة من صيغة الْخطَاب إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، أي: ثم أنْزل الله الطَّمأْنينة على رسوله وعلى المؤمنين. ومن فائدة الالْتفَات نصر الله سُبْحَانه وتعَالى للمُؤمنين وتأْييدهم.

وقَوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس٢٢]، فقد الْتفت عن ﴿كُنتُمۡ﴾ إلَى ﴿جَرَيۡنَ بِهِم﴾. من الْخطَاب إلى الْغيبَة.

وفائدَة الْعدول عن خطَابهم إلَى حكَاية حالهم لغيرهم، لتعجبه من فعلهم وكُفْرهم، إذ لو اسْتمَر على خطَابهم لفَاتت تلْك الْفائدة.[1]

"وقيل: لأَن الْخطَاب أوَّلا كان مَع النَّاس: مؤمنهم وكافرهم، بدَليل قَوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾، فلو قَال: (وجرَين بكم) للزم الذَّم للْجَميع، فالْتَفتَ عن الأوَّل للإشَارة إلَى الإخْتصَاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآيَة، فعَدل عن الْخطَاب العَام إلَى الذَّم الْخَاص ببعْضهم، وهم الموصُوفون بما أُخبر به عنهم."[2]

وقَوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ * وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [ابراهيم١٩-٢١]، الم تعْلم أيها المخَاطب- والإشَارة أيْضا إلَى عمُوم النَّاس- إنْ يشَأ سُبحَانه وتعَالى أنْ يُذهبكم ويأْتي بخلق جديد يُطيعون الله ولا يعْصُونه، وما هُو إلا أمْر سهْل عند الله.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾، أي: وظهروا لله جميعا.

وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [ابراهيم٣٨]، في الآيَة الْكَريمة تمَّت الإشَارة إلَى دعاء إبراهيم الْخليل- ومعْنَى الْقَوْل: ربَّنا إنَّك تعلم وأنْت علاَّم الْغيوب، تعلَم مَا تخْفيه صدورنا وما نخْفي ومَا نعْلن،

ويتجلَّى الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

---

[1]- أنظر البرهان، ٣٨٤/٣.

[2]- المرجع نفسه والصفحة.

وقَوله: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾ [النحل٦٩]، تمَّت الإشَارة في الآيَة الْكَريمة إلَى الإيحَاء إلَى النَّحل- ومعنَى قَول الآيَة: فاسْلكي طرق ربك مذلَّلة لك، لطلَب الرزق في الْجبَال وفي الشَّجَر.

ويتجلَّى الالْتفَات في الآيَة الْكَريمة من الْخطَاب في قَوله: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾، أي: يخرج من بطون النَّحل عسَل مخْتلف الأَلْوَان.

وقَوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل٧٢]، مخَاطبة النَّاس جَميعا- وفيه الإشَارة إلَى الْجنْس الْبشَري، حيْث جَعل لكم من جنْسكم أزواجا، وجعَل من نسْل الأبنَاء أحفَادا، ورزقكم من الأطْعمَة أنْوَاعا.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾، وهنَا الإبْقَاء على الْخطَاب للنَّاس جميعا، أفبالْبَاطل من الوهيَّة شركَائهم يؤمنون.

وقَوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [النحل٨١-٨٢]، مخاطَبة النَّاس جميعا- والله جعَل لكم ممَّا ينْبت من الأشْجَار وغيْرها تسْتظلون به، ومن الْجبَال كهوفا ومغَارات تلجؤون إليهَا، وجعَل لكم ثيابا تحفظكم من الْحَر والْبَرد، وليتم نعمتَه عليكم ببيَان الدّين، لتسْتسلموا لأمْر الوَاحد الأحَد.

ويتجلَّى الالْتفَات من الْخطَاب والذي فيه من النعَم التي أنعَم بها سبحَانه وتعَالى على النَّاس في قَوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾ إلَى الْغيبَة في

قَوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ فإن تراجَعوا فإنَّمَا عليك التَّبْليغ.

وقَوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الانبياء٩٢-٩٣]، أي: دينكم وملَّتكم التي يجب أنْ تكونوا عليهَا أيُّها النَّاس- ملَّة واحدَة غير ملل مختلفَة وهي ملَّة الإسْلاَم وكل الأنبيَاء جاءوا برسَالة واحدَة وهي (التَّوحيد): ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾، والْخطَاب هنَا موجَّه للنَّاس كافة والأصْل (فقَطعتم) عَدل من المخَاطب إلى الْغَائب.

ومن فائدَة الإلْتفَات هنَا أنَّه ينعي عليهم ما أفْسَدوه إلَى آخرين ويَقبح عندَهم فعلهم ويقبح عندَهم عظيم ما ارتَكبوا في حق دين الله، ثم توعَّدَهم بقَوله: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾.

وقَوله:﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ [المؤمنون٥٢-٥٣]، المخَاطب الأنبياء- ثم الإشَارة إلَى الأمَم التَّابعَة لهم وجمعَها أمَّة واحدة، وهَذا الدّين دين واحد وهو الإسْلاَم- ثم الإشَارة إلَى الْوحْدانيَّة الإلهيَّة والأَمْر بتَقْواه سبحَانه وتعَالى.

ويتجلَّى الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله:﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾، أي: فتَفرق الأَتباع في الدين إلَى أحْزَاب وشيع.

وقَوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ [النور٦٤]، خطَاب المؤمنين- ألا إنَّ لله مَا في السَّماوات ومَا في الأرض خلْقا وملْكا وعبَادة، قد أحَاط بعلْمه كل شَيء.

ويظهر الالْتفَات من الْخطَاب إِلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾، أي: وفي الآ خرة يرجع فيه الْعباد إِلَى الله.

وقَوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء٨٧-٨٩]، هذَا دعاء إبراهيم عليه السَّلام- قَوله: ولاَ تلحَق بي الذّل، يوم يخرج النَّاس من الْقبور ويعْرضون للْحسَاب والجزَاء، يوم لا ينْفَع فيه المَال والْبنون.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب إِلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، والأَصل (الا من أَتى الي)، إلاَّ مَن جَاء بقَلب سليم خَال من النّفَاق والرَّذيلة.

وقَوله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ [النمل٨٤-٨٥]، معْنَى الْقول في الآيَة: أكذَّبتم بآيَاتي التي أنْزلتها علَى رسلي، وبادلَّة التَّوحيد ولم تحيطوا علما ببطْلانها.

ويظهر الالْتفَات من الْخطَاب إلى الْغيبَة في قَوله: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾، ووقعت الْحجَّة عليهم فهم لاَ ينْطقون.

وقَوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم٣٩]، أي: وما أعْطيْتم قرضًا منَ المَال بقصْد الربَا، وطلب زيادَة ذلك الْقرض؛ ليزيد وينْمو في أمْوال النَّاس، فلاَ يزيد عنْد الله، بل يمحقه ويبْطله. ومَا أعْطيْتم من زكاة وصدقة للْمسْتحقين إبْتغَاء مرضَاة الله وطلبًا لثَوابه.

ويظهر الالْتفَات من الْخطَاب إِلَى الْغيبَة في: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾، فهذا هو الذي يقْبله الله ويضَاعفه لكم أضْعَافًا كثيرة.

وقَوله: ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الاحزاب٥٠]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- وفي الآيَة إشَارة إلَى ما أباحَة الله له. في معْنَى قَول الآيَة: وبنَات خالك وبنات خَالاتك اللاتي هاجَرن معك.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب إلَى الْغيبَة في: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، أي: امرأة مؤمنَة إنْ منحَت نفسَها لك من غير مهْر، إنْ كنتَ تريد الزَّواج منهَا.

وقَوله:﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف ٧٠] ثم قال﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ [الزخرف٧١] فانْتقَل من المخَاطب إلَى الْغَائب، ولو ربَط بما قبْله لقَال: (يطاف عليكم) لأنَّه مخاطب لا مخْبر، الْتَفتَ فقال ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فكرَّر الالْتفَات. وتشير الآيَة إلى الذين آمنوا بآيات الله وعملوا بمَا جَاءتهم به رسلهم، وكانوا منقَادين لله ربِّ الْعالمين بقلوبهم وجوَارحهم، يقَال لهم: أدْخلوا الْجَنَّة أنتم وقرنَاؤكم المؤمنون تُنَعَّمون وتُسَرُّون.

وقَوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية٣٥]، في الآيَة إشَارة إلَى مَا حلَّ بهم من عذاب الله، ثم التَّطرق إلَى أسْبَاب الْعذَاب بقَوله: أنَّكم إتَّخذتم آيَات الله وحججه هزؤا ولعبا، وخدَعتم بزينة الْحياة الدّنيَا.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، أي: لا يخْرجون من النَّار.

وقَوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [محمَّد٢٢-٢٣]، المخَاطب الذين في قلوبهم مرض- ومَعْنى الْقَول: فلعلَّكم إن أعرضتم عن كتَاب الله وسنَّة نبيه محمَّدﷺ أنْ تعْصوا الله في الأرض بكفْركم وتقطعوا

أرْحَامكم. "﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ بأنْ أبْعدهم عن رحْمته، وقربوا من سخط الله."[1]

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾، أي: أبْعدَهم من رحْمته.

وقوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات٧] خطَاب إلَى الذين آمنوا- وبإشَارة إلَى ما كرَّه الله لهم- وكرَّه إليكم الْكفْرَ بالله والْخروج عن طاعته، ومعْصيتَه.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾، أي: أولئك المتَّصفون بهذه الصّفَات هم الرَّاشدون السَّالكون طريق الْحق.

وقَوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [ق٣٤-٣٥]، خطَاب للمؤْمنين- أدْخلوا الْجنَّة دخولا مقْرونا بالسَّلامة من الرَّذائل والآفات والشّرور، وذلك يوم الْخلود.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾، كل طلبَاتهم مجَابة.

وقَوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصْفُوفَةٖۖ وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ [الطور١٩-٢٠]، المخَاطب المتَّقين في جنَّات النَّعيم- كلوا طعاما هنيئا، وٱشْربوا شَرابا سائغا، جزاء عملكم الصَّالح.

ويظهر الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾، إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصْفُوفَةٖۖ وَزَوَّجْنَٰهُم﴾، وصْف حَال المتَّقين في الْجَنَّة ونعيمها.

---

[1]- انظر السعدي، ٢٦/٩٣٠.

وقَوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٌ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم٢٣]، المخَاطب المشْركين وعبَّاد الأصنَام- وإشَارة إلَى أسْمَاء أصْنامهم المعْبودَة، إنْ هي إلا أسْمَاء سمَّيتموها أنتم وآبائكم على هوَاكم، ما أنْزل الله بها من حجَّة.

يظهر الالْتفَات من خطَاب المشْركين في قَوله تعَالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٌ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ الى الْغيبة في قوله إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ما يتَّبع هؤلاء المشْركون إلاَّ الظَّن.

وقَوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾ [الواقعة٥٥-٥٦]، المخاطب الظَّالين عن طريق الْهدى المكذبين بوعيد الله- فشَاربون مَاء متناهيا في الْحَرارة لا يزيد إلاَّ ظما.

يظهر الالْتفَات من الْخطَاب في قَوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾، أي: هذا مقامهم وهَذا الذي يلْقونه وما أعدَّ لهم من الزَّاد نتيجة عملهم.

الخامس

من الغيبَة الى التَّكلم

ومعْنَاه أنْ يكون سياق الْكلاَم على ضَمير الْغيبَة ثم يتحوَّل إلى ضَمير التَّكلم.

ومن أمْثلته مَا جاء في قَوله تعَالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة١٩٧]، أي: مَا تفْعَلوه من خير فالله سبحَانه وتعَالى به عليم، وخذوا لأنْفسكم مما يكْفيكم في سفركم للْحج، وزادا منَ الأعْمَال الصَّالحة للآخرة وهو خيْر زاد.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ﴾ إِلَى التكلم في قَوله: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: وخافوني يا أصْحَاب الْعقول السَّليمَة. قَوله: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، "فان قضية اللب استشعار خشْية الله عز وجل وتقواه وحثهم على التَّقوى ثم أمرهم بأنْ يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبروا من كل شيء."[1]

وقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [ال عمران١٠ -١١] الْتفَات من صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ إِلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وفي الأصْل (كذَّبوا بآيات الله) ولكن سبحَانه وتعَالى أثَّر صيغة التَّكلم لاسْناده هذه الآيَة الْعظيمَة له مباشرة فيعلى شأنهَا ويشير إلى عظم عقَاب مكذبيها فقد أنْكرهَا الْكفَّار إفْتراءا على الله جلَّ جلاَله، فقد كان شأنهم في التَّكذيب كشَأن آل فرعون في التَّكذيب بموسى عليه السَّلام.

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٤٨-٤٩].

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة قَوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا﴾، إِلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾. "وفي هذا التَّحول مناسبة كبيرة بين

[1]- أنظر ارشاد العقل، ٢٠٨/١.

الْجملتين لأنَّ الْجملة الثَّانية من قَوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ معمول لرسول أي ناطقا بأنيّ قد حئتكم."[1]

وقَوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران١٨١]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى الْيهود- في معنى قَول الآيَة: لقد سمع الله قوْلهم: إنَّ الله فقير إليْنا يطلب منَّا أنْ نقْرضه أمْوالا، ونحن أغْنياء.

ويظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ إلَى صيغَة التَّكلم ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾، سنكْتب مَا قالوه.

وقَوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء١١٤]، أي: ومن يفعَل تلْك الأمور طلبا لرضَا الله.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾، إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، أي: سنؤْتيه ثوَابا واسعا.

وقَوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء١٧٤]، نداء -لكل النَّاس- في الآيَة إشَارة إلَى الرَّسول الْكَريم- قد جَائكم رسولنَا محمَّدﷺ- ومَا جَاء به من الْبينَات والأدلَّة، وأعْظمها الْقرْآن الْكَريم.

ويظهر الالْتفَات من الغيبَة في قَوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم﴾ إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورٗا مُّبِينٗا﴾، أي: الْقرْآن.

وقَوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة٩٢]، خطَاب إلَى

[1]- أنظر مجلة اشكالات، ص٩.

المسْلمين- والإشَارة في الآيَة إلَى الامْتثَال وطاعة رسول اللهﷺ- في كل ما تفعَلون وتتركون، واتَّقوا الله.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ﴾، إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، فإنْ أعْرضتم عن ذلك، فاعْلموا أنَّ ما على الرَّسول إلاَّ الْبلاَغ.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الانعام٦١]، خطَاب إلى النَّاس- هو الله الْقَاهر فوقَ عبَاده، وكل شيء خاضع لجلاَله سبحَانه، ويرسل ملائكته يحْفظون أعْمالهم، حتى إذا جَاء الموت بأحدهم.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، أي: توفَّته رسلنا أي: ملك الموت وأعْوَانه. قَوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ "أَي: اسْتوفَت روحه، وهم مَلك الموت وأعْوانه."[1]

وقَوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الانعام٩٧]، خطَاب إلَى النَّاس جميعا- والله سبحَانه وتعَالى هو الذي جعَل لكم النّجوم علامَات، تعْرفون بها المسالك والطّرق ليلا اذا ظللْتم، عند الظّلْمَة.

قَوله: ﴿لِتَهْتَدُواْ﴾ علة وغرض ل(جَعَلَ)، فاللام أفَادت العلة. فالإهْتدَاء في ظلمات البر والْبحر هو الْغَرض من جَعل النُّجوم علامَات.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ﴾، إلَى التَّكلم في قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾، أي: قد بيَّنا الْبراهين والأدلَّة الْقاطعة ليتدبَّرها أولوا الْعلم.

---

[1]- أنظر الكشاف، ٣٥٦/٢.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ [الانعام٩٩]، مخَاطبة كل النَّاس- ومعنَى الْقَول في الآيَة: والله سبحانه هو الذي أنْزَل من السَّحَاب مطرًا فأخْرج به نبَات كل شيء، فأخْرج من النَّبَات زرعًا وشجرًا أخْضَر، ثم أخْرج من الزَّرع حَبًّا يركب بعضه بعضًا، كسَنابل الْقمح والشَّعير والأرز.

"وصِيْغَة المضارع ﴿نُّخۡرِجُ﴾ لاسْتحْضَار الصُّورة لما فيها من الْغرابَة."[1]

نلاحظ الالْتفَات في هذه الآيَة من ضَمير الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ﴾ إلَى ضَمير التَّكلم في قَوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾.

"وقد جَاء الالْتفَات في الآيَة من ضمير الْغيبة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ﴾ إلَى ضمير التَّكلم في قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾."[2]

"قَال البقاعي: (ولما كان تفريع الْخلق من المَاء بمكان الْعظمَة لا يوصل إليه نبَّه عليه بالإنْتقال إلَى ضمير التَّكلم في مظْهَر الْعظمة فقَال: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾، أي: على مالنَا من الْعظمَة التي لا يدانيها أحد."[3]

وقَوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الانعام١٢٦]، المخاطب الرَّسول الْكَريم- الذي بيَّنَّاه لك هو الطَّريق الموصل إلَى رضَا ربّك وجزائك بجنَّته.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ إلَى المتكلم في قَوله: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: قد بيَّنَّا الْعلاَمات والْبَراهين.

---

[1]- أنظر الشبل، ص١٤٧.

[2]- المرجع نفسه، ص١٩.

[3]- المرجع نفسه، ص ١٤٨.

وقَوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۚ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ﴾ [الانعام١٥٧]، خطَاب المشْركين عند تكْذيبهم بحجج الله تعَالى واعْرضوا عنهَا- فهَؤلاء المعْرضون.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ﴾ أي: سنعاقبهم عقَابا شديدا في نَار جهنَّم، بسبب إعْراضهم عن آيَاتنا.

وقَوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [الاعراف٣٧]، خطاب الذين كذَّبوا بآيَات الله واخْتلقوا على الْكذب، أولئك يصل اليهم حظّهم ممَّا فعلوه من خيْر وشَر، في الدُّنيا ممَّا كتَب لهم في اللَّوح المحفوظ.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾، أي: حتَّى جائهم ملك المَوت وأعْوانه.

وقَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الاعراف٥٧]، مخاطبة كل النَّاس- ومعْنَى الْقَول: الله سبحَانه وتعَالى هو الذي يرْسل الرياح الطيبَة اللينَة مبشرات بالْغَيث الذي تثيره بإذْن الله، فيسْتبشر الْخلق برحْمَة الله، حتَّى إذَا حملت الريح السَّحَاب المحمَّل بالمطر ساقَه الله بها لإحْيَاء بلد، قد أجْدبت أرْضه، ويَبست أشجَاره وزرعه، فأنزل الله به المطَر، فأخْرج به الكلأ والأشجَار والزَّروع، فعادت أشجَاره محمَّلة بأنواع الثَّمَرات. كمَا نحيي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتَى من قبورهم أحيَاءً بعد فنائهم؛ لتتَّعظوا، فتسْتدلوا على توحيد الله وقدرته على الْبَعْث.

نلاحظ أنَّ الالْتفَات في هذه الآيَة من ضَمير الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ﴾، إلَى ضمير التَّكلم في قَوله تعَالى: ﴿سُقْنَٰهُ﴾، ﴿فَأَنزَلْنَا﴾، ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، ﴿نُخْرِجُ﴾.

"فالالْتفَات في الآيَة من ضَمير الغيبَة في قَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ﴾، الى ضمير التَّكلم في قَوله تعَالى: ﴿سُقْنَٰهُ﴾، ﴿فَأَنزَلْنَا﴾، ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، ﴿نُخْرِجُ﴾. وهذا التغيير من أسْلوب إلى أسْلوب لاَ شك أن لَه غرضا بلاَغيا، وهو إظهَار قدرة الله عز وجل المشعرة بعظمته."[1]

"فالآيتَان مسوقتان لإثْبَات حقيقَة الْبَعْث، تلك التي أنْكَرها الملْحدون وجادل فيها المجادلون اسْتبعَادا لصيرورة الشَّيء إلَى نقيضه، وتحول الْعظَام التي رمَّت وبليت بعْد أنْ فارقتهَا الْحيَاة إلَى أجْسَام نابضَة بالْحيَاة.. ومن ثمَّ كان تشْبيه الْبعث في الآيتين."[2]

وقَوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الاعراف ٥٨]، أي: والأرض النَّقيَّة إذا نزَل المطَر يخرج منها نبَاتا باذنه تعَالى طيبا، ومثله المؤمن إذَا سمع آيَات الله انْتفعَ بها، وأثْمرت فيه حيَاة صالحَة، أمَّا السَّبخَة فلا تخْرج نبَاتا طيبا، وكذلك الْكَافر،
يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾، ومثل هذا التَّنْويع لاثْبَات الْحَق لأناس يشْكرون نعَم الله.

وقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الاعراف١٥٢]،

---

[1]- أنظر الشبل، ص٢١.

[2]- أنظر حسن طبل، ص١١٤.

الإشَارة في الآيَة الكَريمة إلى قوم موسَى من المشْركين الذين اتَّخذوا الْعجْل الهَا سينَالهم غضب شديد من ربهم بسبَب كفْرهم وشرْكهم بالله.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ و ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي﴾، أي: هَذا جزاء المفْترين المبْتدعين في دين الله.

وقَوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ [الاعراف١٥٨]، الأسْلوب في صيغَة التَّكلم في الإعْلاَن عن رسَالة الرَّسولﷺ في قَوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، ثم تحوَّل إلى صيغة الْغيبة- عنْد الدَّعوة إلى الإيمان في قَوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقَوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الانفال 41]، مخَاطبة المؤمنين- وفي الآيَة إشَارة إلَى تقْسيم غنَائم الْحَرب- إعلموا أنَّ ما ظفَرْتم به في الْجهَاد في سبيل الله فأرْبعَة أخْمَاس للْمقاتلين الذين حضَروا المعْركة، والْخمس الْباقي يجزأ خمْسَه أقْسَام: الأوَّل للرَّسول فيجعَل في بيت المَال الْعَام، والثَّاني لذوي قرابَة رسول اللهﷺ، والثَّالث للْيتَامى والرَّابع للْمساكين، والْخامس للْمسَافر.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة إلَى صيغة التَّكلم في قَوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، أي: إنْ كنتم مقرين بما أنْزل الله علَى نبيه وعبْده محمَّدﷺ.

وقَوله: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الانفال٥٤]، سرْد قصَّة من قصَص الْقرْآن الْكَريم وضرْب أمثلة للْكَافرين بالاشَارة إلى قوم فرعون الذين كذَّبوا موسَى.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾، أي: بسَبب فعْلهم.

وقَوله: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس١١]، مخَاطبَة كل النَّاس- لو يعجل الله لهم إجابَة دعائهم في الشَّر كاسْتعْجَاله لهم في الْخير لهلكوا.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلى ضمير التَّكلم في قَوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، أي: فنتْرك الذين لا يخافون عقابنا، ولا ينْتَظرون لقَائنا.

وقَوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ [يوسف٢٤]، الإشَارة إلَى قصَّة يوسف عليه السَّلام معَ امرأة الْعَزيز- وهنا يتبين لنا السَّرْد الْعَجيب للْقصَّة، لولاَ أنْ رآى آيَة من آيَات ربه وهي تزجره وتنبهه ألا يفعَل ما حدَّثته به نفْسه من سوء.

ويظهر الالْتفَات في الآيَة من الْغيبَة في قوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا﴾ إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾، أي: لندْفَع عنه السُّوء والْفاحشَة.

وقَوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل٥١]، خطَاب لعباد الله- بالإشَارة إلى وحدانيَّته والوهيَّته لا شَريك له.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾، أي: فخَافوني.

وقَوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، [النحل٥٦] بدَأ بسرد مختَلف أنْواع النّعَم على النَّاس ليبين لهم فضْله وأنَّ رزْقه لا يكَون منْ باب واحد بلْ من أبْواب وجهَات مخْتلفَة، فتارة يذْكر الأنْعَام وكيفيَّة إعْطائها اللَّبن، وتارَة يذْكر الثَّمَرات والأعْنَاب التي تتَّخذون منْها أشيَاء أخْرى، وتارَة يذكر النَّحل التي يخْرج من بطونها شرَاب فيه شفَاء للنَّاس، فكل هذه الأمور والنعَم هي منْ رزق الله، اللهُ الذي أعْطَى كل شيءٍ خلْقه، وفضَّل بعضنَا على بعض في هذا الرّزق لحكمَة اخْتصَّ بها، ثم خاطَب الْعقول التي لا تدرك أنَّ الرَّازَّق هو الله، وأنّ هذه النّعَم هي منه وحده.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلَى التَّكلم في ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

وقَوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ * فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل -٧٣ -٧٤]. فلَمَّا كَان الْكلاَم منصباً على الرّزق وتفريعَاته وبيَان أنَّ الرَّازق هو الله، كان لابد من تغَاير الأسْلوب والتَّحول من الْغيبَة إلى التَّكلم ليكون أدْخَل في الاسْمَاع وأشد تعظيماً لهذا الرّزق.

وقَوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل٧٥]، في الآيَة الْكَريمة تمَّت الإشارة إلى ضرْب الأمثَال في الْقرْآن الْكَريم- ومعْنى الْقَول: ضَرب الله مثلا فيه فسَاد عقيدة أهْل الشّرك: رجلا ممْلوكا لايستطيع فعْل شَيء.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، إلَى التكلم في قَوله: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾، أي: وآخر له مال حلاَل رزقه الله به، يتصدَّق منْه في الْخفَاء والْعَلن.

وقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾ [النحل٨٨]، في الآيَة الْكريمة إشَارة إلَى الذين جحَدوا وحدانيَّة الله وصدق نبوَّتك، ومنَعوا غيرهم عن اتباع الْحق.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾.

وقَوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الاسراء١]، لمَّا بدَأ الْكلاَم بـ (سبحَان) ردفه بقَوله ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾ إذ لاَ يجوز أن يقَال: (الذي أسْرَينا). فَلمَّا جَاء بلفْظ الْواحد، والله تعَالى أعْظَم الْعظمَاء وهو أوْلى بخطَاب الْعظيم في نفْسه الذي هو بلفْظ الجَمْع، اسْتدرك الأول بالثَّاني فقَال: باركنَا، ثم قَال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فجَاء بذلك على نسق ﴿بَارَكْنَا﴾ "في أرْبعة مواضع، فانْتَقل عن الْغيبَة في قَوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ إلَى التَّكلم ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ثم عن التَّكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ ثم عن الْغيبَة إلَى المتكلم في قَوله: ﴿ءَايَٰتِنَآ﴾ ثم عن المتكلم إلَى الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾."[1]

"قَال الزمخشري: وفائدته في هذه الآيَات وأمْثالها التَّنْبيه علَى التَّخْصيص بالقدْرة، وأنَّه لا يدخل تحْت قدره أحَد."[2]

---

[1]- أنظر البرهان، ٣٨٧/٣.

[2]- أنظر الاتقان، ١٧٣٥/٥.

"قال أبو السعود: (والالْتفات إلَى التَّكلم ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾، لتعظيم تلك البركات والآيَات، والإلْتفَات إلَى الْغيبَة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، لتربية المهابَة."[1]

وقَوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾ [الاسراء٨]، خطاب إلَى بني إسْرائيل- أنْ يرْحمكم ربكم بعْد انْتقَامه إنْ تبْتم وأصْلحْتم من حَالكم.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾، إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾، أي: وإنْ رجَعْتم إلى المعَاصي رجعْنَا إلَى الْعقَاب.

وقَوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الاسراء٩٧]، أي: ومن يهْدي الله سبحَانه وتعَالى فهو الذي يهْدي إلَى الْحَق، ومن يضللْه فلا هَادي له من دون الله.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ﴾ وفي قوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ ويلْتَفت إلى التَّكلم في قوله: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، أي: يبْعثهم الله يومَ الْقيامَة على وجوههم وهم لا يرون ولا يسْمَعون ولاَ ينْطقون.

وقَوله: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف١٣]، من قصَص الْقرْآن الْكَريم وفي الآيَة إشَارة إلى أنَّ أصْحَاب الْكهف شبَّان آمنوا بربّهم وصدَّقوا وامْتثَلوا أمْره.

[1]- أنظر الشبل، ص١٥٢.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ءَامَنُواْ﴾ إلَى التَّكلم في قوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، الالْتفَات إلى التَّكلم للتَّأكيد عن دعْم الشبَّان لهم من الله لثبَاتهم على الْحَق.

وقَوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف٥٢]، في الآيَة إشَارة عن قَوله تعَالى للْمشْركين يوم الْقيامَة، نادوا شركَائي الذين كنْتم تزْعَمون أنَّهم يشاركوني في الْعبادَة، نَادوهم لينْصروكم مني، فنَادوهم فلم يسْتجيبوا.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ الَى التَّكلم في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي: وجَعلْنا بين الْعَابدين والمعبودين من غير الله مهْلكا في جهنَّم.

وقَوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ [مريم٩]، المخَاطب زكرياء- ومعْنى الْقَوْل: هكذا الأمْر كمَا تقول من أنَّ امْرأتك عاقرا، وبلوغك من الْكبر عتيًّا.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ الَى التَّكلم في قَوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾، أي: خلقْتك أنتَ يا يحي، ولم تك شيئا مذكورا.

وقَوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم٧١ -٧٢]، في الآيَة إشَارة إلَى وصْف الصِّرَاط المنْصوب على متن جهنَّم وكل بحسَب عمَله، كان ذلك أمْرا محْتوما.

يتجلَّى الالْتفَات من الْغيبَة إلَى التكلم في قَوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ أي: ننجي الذين اتَّقوه سبحَانه وتعَالى بطَاعته والبعد عن معصيته.

وقَوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم٨٨-٨٩]، أي: وهذا تقْبيح وتشْنيع لقَول المعَاندين الْجَاحدين،

الذين زعموا أنَّ الرحْمَن اتخَذ ولدا، كقَول النَّصارى: المسيح ابن الله، والْيهود: عزير ابن الله، والمشْركين: الملائكَة بنَات الله، تعَالى الله عن قوْلهم علوا كَبيرا. لقد جاؤوا بشيء قبيح.

وقَوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ [طه٥٣]، أي: هو الذي أَنْزَل من السَّمَاء مطَرا، فأَخْرج به أَنْواعا كثيرة مخْتلفَة من النَّبَات.

"زعم الجرجاني ان في هذه الآية الْتفَاتا، وجعَل قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾."[1].

فقد عدل عن الْغيبَة في قوله: ﴿أَنْزَلَ﴾ إلى التَّكلم قَوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾. كقَوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [فاطر٩]، "عَدل عنْ لفْظ الْغيبَة إلَى المتكَلم."[2]

وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه٥٥]، دلاَلته قطعيَّة أنَّ المتكلم هو الله، إذ لا قدرة للبشَر على مثل هذه الأفْعَال. لذَا يكون من المناسب أنْ يكون قَوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ هو قَول الله تعَالى حَتى يكون السياق واحداً والمتكلم واحداً، وفيه يبرز أسْلوب الالْتفَات وفيه تبْرز غايته وغرضه وهو تعْظيم الله تعَالى لمثل هذه الأفْعَال.

وقَوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ [طه٥٣]، أي: أنْزل سبحَانه وتعَالى من السَّمَاء مطَرا.

---

[1]- أنظر البرهان، ٣٨٦/٣.

[2]-المرجع نفسه، ٣٨٥/٣.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَأَنْزَلَ﴾ إِلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، للتَّأكيد على عظمَة الْخَالق وقوَّته.

وقَوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُم إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ [الانبياء٢٩]، أي: ومن يقلْ أو يدَّع منَ الملائكَة أنَّه إِلٰه مع الله- وهذا على سَبيل الْفَرض.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَن يَقُلْ﴾ إِلَى التَّكلم في قَوله: ﴿نَجْزِيهِ﴾ أي: ينالَ جزائه وجزاءه جهنَّم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الانبياء٣١-٣٣]، حيث جاءت الآية الثَّالثة بصيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، في الآيَة الكَريمة الْتفَات إلى التَّكلم في قَوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾، ونفْس السياق في الآيتين الأوليين.

"ولقد ذكَر المفسرون أنَّ الْفرق بين الْخَلْق والْجعْل هو أنَّ الأول يتضمَّن معنى التَّقْدير والإبْدَاع من عدَم، أمَّا الثَّاني ففيه معنى التَّضْمين كإنْشَاء شيء من شيء (موجود أصْلا)، أو تصيير شيء شيئا، أو نقْله من حَال إِلَى حَال."[1]

وقَوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الانبياء٨٣-٨٤]، في الآيَة إِشَارة إِلَى قصَّة نبي الله أيوب عَليه السَّلام، ومعْنَى الْقَول: إذ ابْتلينَاه بضر وسقم، وفقَد كل شيء، فصَبر واحْتسَب، ونادَى ربَّه قد أصَابني الضر، وأنْت الرَّحيم بعبَادك.

[1]- أنظر حسن طبل، ص١١٠.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة الَى التَّكلم في قَوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: فاسْتَجبنا له دعائه.

وقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ﴾ [الحج٢٥]، أي: الذين كفَروا بالله وكذَّبوا بما جَائهم به الرَّسول، ويمْنَعون غيْرهم من الدخول في دين الله، وفي الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى عام الْحدَيبية وصَدّ المشْركين رسول اللهﷺ دخول المسْجد الْحَرام.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾، إلَى التَّكلم في قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾، أي: الذي جعلنَاه لجَميع المؤمنين.

وقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج٣٥]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى المخْبتين- وهم المتواضعون الْخَاشعون، الذين إذا ذكر الله وحْدَه خَافوا عقَابه، وإذا أصَابهم بَأس صَبروا على ذلك وينْتظرون الثَّواب منَ الله لا منْ سواه، ويقيمون الصَّلاة تامَّة غير منْقوصة.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ذُكِرَ﴾و ﴿وَجِلَتْ﴾ و ﴿أَصَابَهُمْ﴾ إلَى صيغة التَّكلم في قوله: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي: ينْفقون مما رزَقهم الله تعَالى، وهَذا للتَّأكيد على فعْل الْخَير.

وقَوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج٤٠-٤١]، الآيَة فيها إشَارة إلَى المهَاجرين- الذين الْجئوا إلَى الْخروج من ديارهم، فإنَّ الله ناصرهم إنَّ الله لقَوي عَزيز.

يظهر الالْتفَات جَليا من الْغيبَة في: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ﴾ إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ أي: الذين وعدْنَاهم بنصْرنا هم الذين مكَّناهم واسْتخْلفنَاهم.

وقَوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾ [النور٥٥]، في الآيَة إشَارة إلَى ما ينْتظر الذين آمنوا من الْجَزاء منه سبحَانه وتعَالى، ليمكنَنَّ لهم دينهم ويورثهم أرض المشْركين، ويجْعلهم خلفَاء فيهَا، وأن يجْعَل الدين الذي ارْتضَاه لهم- (الاسْلاَم) دينا عزيزا، وأن يبدِّلَ حالهم من الْخَوْف إلَى الأمْن.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أي: يعْبدوه سبحَانه وتعَالى وحْده لا شَريك له.

وقَوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان٤٥]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- معْنى الْقوْل في الآية: الم ترى أيُّهَا الرَّسول- كيف مدَّ ربك ٱلظِّلَّ من طلوع الْفَجْر، ولو شَاء لجعلَه ساكنا لا يتحَرَّك.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ﴾، إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿جَعَلْنَا﴾، أي: جعَلْنا الشَّمس علاَمة يسْتدل بأحْوالهَا علَيه.

وقَوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا * لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان٤٨-٤٩]، اي وهو سبحانه وتعالى الذي أرْسل الرّياح التي تحْمل السَّحاب، تبْشيرا بالمطر،لإحياء النَّبات ويسْقي بذلك الماء الأنْعام والنَّاس.

يظهر الالْتفَات في الآيَة الأولى عن ضَمير الْغيبَة في قوله: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، إِلَى ضَمير التَّكلم في قَوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾،

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ [النمل٦٠]، وأنْزل لكم من السَّمَاء مَاء.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾، إِلَى صيغَة التَّكلم: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾، أي: أخْرجنا به من نبَات شتَّى.

"الالْتفَات في قَوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ بعد قَوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ فقد انْتقَل في نقْل الإِخْبار من الْغيبَة إِلَى التَّكلم عن ذَاته في قَوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾، والسر في تأكيد اخْتصَاص فعل الإِثْبَات بذاتَه تعَالى وللإِيذان بأن انْبَات الْحدائق المخْتلفَة الأصْنَاف وما يبدوا فيهَا من تزاويق الأَلْوَان وتحاسين الصور... كل ذلك لا يقدر عليه إلاَّ قادر خَالق وهو الله وحدَه."[1]

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ * لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ [العنكبوت٦٥-٦٦]، في الآيَة الْكَريمة إِشَارة إلى الْكفَّار- فلمَّا نجَّاهم إِلَى البر، وزَال عليهم الْخَوْف الذي كَان عليهم عنْدَما كانوا في الْبَحْر، عادوا إِلَى شرْكهم.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ إِلَى صيغَة التَّكلم في قَوله : ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾.

وقَوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الروم٢٨]، وهذَا الأسْلوب الْقرْآني

[1]- محي الدين الدرويش: اعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ط٣ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، مج٧، ص٢٤٠.

إنَّما هو مادَّة الإعْجَاز، وضَرب المشْركين بالْحجَّة من أنْفسهم، هل لكم من عبيدكم وإمَائكم من يشارككم في رزقكم وما كسَبْتموه، وترون أنَّهم شركائكم، تخافونهم كخيفتكم للأحْرَار الشركاء في مقاسَمة أمْوالكم.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ أي: نبين الْبراهين والْحجج.

وقَوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [لقمان١٠]، في الآيَة الْكَريمة إشارة إلَى قدْرة الْخالق في خلْقه، خَلق السَّمَاء بغير عمد تظْهر لمن يعْتبر، وألْقَى في الأرض جبَالا ثابتَة لئلاَّ تضْطَرب الأرض وتتحرَّك، وهذا تعْظيما لقدرة الْخَالق، والتَّوازن الذي جعَله في خَلْق السَّمَاء والأرض، ونشَر فيها من كل دابَّة تدب عليها لإحْداث الْحيَاة فيها.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في الأَفعَال: ﴿خَلَقَ- وَأَلْقَىٰ- وَبَثَّ﴾ إلى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾، ولم يَقل: (وأنْزل) وهذا للتَّعْظيم- أنزَل من السَّحَاب مطَرا.

وقَوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة١٦]، أي: الذين يؤمنون بآيَات الله عن فراش النَّوم، يدعون ربَّهم خوفا من الْعذَاب وطمَعا في الثَّواب.

يظهر الالتفَات إلى التَّكلم في قَوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ بعد أنْ كَان في صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

وقَوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة٢٢]، تذكيرا وبيَانا وإشَارة في الآيَة

الْكَريمة بمن هو أشدّ ظلما لنَفْسه، ممن وعظَ بدلائل الله، ثمَّ أعْرَض عنهَا ولم يتَّعظ.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، بعد أن كان بصيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾، أي: اسْتكبَر عنها وترفَّع، إنَّا منهم منْتَقمون.

وقَوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾ [الاحزاب٩]، المخَاطب الذين آمنوا بالله ورسوله- وفي الآيَة الْكَريمة إشَارة الى نِعم الله تعَالى- ومعْنَى الْقول: أذكروا نعمة الله عليكم في المدينة، مع ذكر الْيهود والمنافقون من المدينَة ومَا حوْلها، فأحَاطوا بكم.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾، أي: أرسلْنَا ريحا شديدَة اقْتلعَت خيامهم ورمَت أغْراضهم وأرْسَلنا ملائكَة من السَّمَاء لم ترَوْها.

وقَوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر٩]، فإنَّه لما كَان سَوْق السَّحَاب إلَى الْبلد الميت وإحْياء الأرضَ بعد موْتها بالمطَر دالاً على الْقدرة الإلَهية التي لا يقدر عليهَا غيره.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾، بعد أنْ كان في صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾. لأنَّه أدْخل في الاخْتصَاص، وأدلَّ عليه.

وقَوله تعالى: (وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [يس ٢٢]، أصْل الكلاَم: (وما لكم لاَ تعبدون الذي فطَركم)، ولكنَّه أبرَز الْكلاَم في معرض النُّصْح لنفْسه، وهو يريد نصحهم؛ ليتلَطَّف بهم، ويريهم أنَّه لا يريد لهم إلاَّ مَا يريد لنفْسه، ثم لما انْقضَى غرضه من

ذلك، قَال: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ليدل على ما كَان من أصْل الْكلاَم ومقْتضياً له.

وقَوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الصافات٥-٦]، الْتفَات إِلَى التَّكلم في قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا﴾.

وقَوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت١١-١٢]، فعدل عن الْغيبَة في ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ وَ(أَوْحَىٰ﴾ إِلَى التكلم في ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ للاهْتمام بالإِخْبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الْكَواكب في سمَاء الدُّنيا للزينة والْحفظ؛ وذلك لأن طائفَة اعْتقَدت في النُّجوم أنها ليْست في سمَاء الدُّنيا، وأنهَا ليْست حفظاً ولا رجوماً.

فعدل إِلى ضمير المتكلم والإِخبار عن ذلك؛ لكَونه مهماً من مهمَّات الإِعْتقَاد، ولتكْذيب الْفرقة المعتقدة بطلانه.

وقَوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت١٥]، يظهر الالْتفَاات إِلى التَّكلم في ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

وقَوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى١٣]، مخَاطبة النَّاس جَميعا- شرع الله لكم من الدين، وفي الآيَة إِشَارة إِلى ما وَصَّى به نوحا أنْ يعمله ويبلغه، وما وصَّينا به أولوا الْعزم من الرُّسل، ثم مخاطَبة الرَّسول الْكَريم.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قوله: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، الذي أوْحينَاه اليْك وهو –الإسْلاَم. بعد الْغيبَة في قَوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ﴾.

وقَوله: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ [الزخرف١١]، أي: والذي نَزَّلَ من السَّمَاء مطرا بقدر ما تحتَاجه الأرض.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ﴾ بعْد مَا كَان في صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ﴾.

وقَوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ [الزخرف٣٦]، أي: فمن يعرض عن الْقرْآن المنزَّل من عنْد رب الْعَالمين، فلم يخف نهيه ولم يهتد بهدَايته.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ﴾، أي: نجعل له في الدنيا شيْطَانا يغْويه، وهذا بعد ما كان الْكلاَم في صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ﴾.

وقَوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ * مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الاحقاف٢-٣]، إشارة في الآيَة إلَى تنْزيل الْقرْآن الْكَريم من الله الْعَزيز الْحَكيم في تدْبيره وصنْعه.

الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، بعْد صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

وقَوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الاحقاف٢٥]، تشير الآيَة الْكَريمة- إلى أخَا عَاد إذ أنذر وحَذَّر قوْمه، ولكنَّهم أعْرضوا، فأرْسَل لهم ريحا تدمّر كل ما تمرّ به، فأصْبحو لا يرى في بلاَدهم شيء إلاَّ مسَاكنهم التي كانوا يسْكنونهَا.

يظهر الالْتفَات إِلَى التكلم في قَوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي﴾، بعد الْغيبَة.

وقَوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [الفتح٧-٨]، في الآيَة الْكَرِيمة إِشَارة إِلَى جنود الله سبحَانه وتعَالى في السَّماوات والأرض، ثم الإِشَارة إِلى تأْييدهم لعبَاده الذين آمَنوا.

الالْتفَات إِلى صيغَة التكلم في : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾، بعد الْغيبَة.

وقَوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح١٣]، في الآيَة الْكَرِيمة إِشَارة إِلَى من لم يصدّق بالله وبمَا جَاء به رسول الله ﷺ ويعمل بمَا أنْزل في كتَابه.

يظهر الالْتفَات إِلَى صيغَة التكلم في قَوله: ﴿فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾، وهذا لإِظْهَار الْعقَاب الذي ينْتظر واعده سبحَانه وتعَالى لهَؤلاء، بعْد مَا كَان في الْغيبَة.

وقَوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ * فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر١٠-١١]، في الآيَة إِشَارة إِلى النَّبي نوح علَيه السَّلام- دعَا ربَّه أنّي ضعيف عن مقاومَة هؤلاء، فانْتصر لي بعقَابك على كفْرهم.

يظهر الالْتفَات إِلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: فأجبنَا دعاءه. وفي الالْتفَات بشْرى لنبي الله وقبول الدُّعَاء.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ [الرحمن٣٠-٣١]، مخَاطبة الإِنْس والْجن- وفي الآيَة إِشَارة إِلَى أنَّهم من المكذبين بنعَم الله. الالْتفَات إِلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾، أي: سنَفْرغ لحسَابكم ومجازاتكم بأعْمَالكم ومَا قدَّمْتموه في الدُّنيَا.

وقَوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الحديد١٧]، مخَاطبة النَّاس- إعْلَموا أنَّ الله سبحَانه وتعَالى يُحي الأرضَ بالمطَر بعد موْتهَا.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا﴾، أي: أعْطينَاكم الأدلَّة.

وهذا بعد صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ﴾.

وقَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الحديد١٩]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى الصِّديقين، وهم الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرق بين أحَد منهم، فَلهم الثَّواب الْجَزيل.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد الْغيبَة في قَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾.

وقَوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ * لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد٢٤-٢٥]، أي: فَإنَّ الله هو الْغَنيُّ عن خَلْقه.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، أي: بالْحجج الواضحَات، وأَنْزَلنا معَهم الْكتَاب بالأحكَام والشَّرائع. بعدمَا كَان بصيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

وقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتۭۚ﴾ [المجادلة٥]، المخَاطب الذين يشَاقُّون ويخَالفون أمْرَ الله ورسوله، خذلوا وأهينوا كمَا خذَل الذين من قبْلهم من الأمَم السَّابقَة.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتۭۚ﴾، أي: لقد أنزلنَا آيَات واضحَات الْحجج تدلّ على أنَّ شرع الله وحدوده حَق.. وهذا الالْتفَات يأتي بعد الْغيبَة في قَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ﴾.

وقَوله: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الصف١٤]، من قصَص الْقرْآن الْكَريم- الإشَارة في الآيَة إلَى ما قالَه الْحواريّون وهم أنْصَار دين الله حين قَال لهم عيسَى: من يتولىَّ منكم نصري وإعَانتي فيمَا يقرِّب إلَى الله. قَالوا نحن أنْصَار دين الله، ثم إشَارت الآيَة إلَى الذين آمَنوا من بَني إسرَائيل وإلَى من كفر منْهم.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، بعد الْغيبَة في قَوله: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت..﴾.

وقَوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا﴾ [الطلاق ٨]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى الْقرى التي عصَى أهْلهَا أمْر الله وأمْر رسله وتمَادوا في طغْيانهم وكفْرهم.

يتجلَّى الالْتفَات إلَى التَّكلم قي قَوله: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا﴾ بعد الْغيبَة في قَوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ﴾.

وقَوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ * وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ﴾ [الملك٥-٦]، واعتَدْنا للشّيَاطين مسْترقي السَّمْع في الآخرَة عذَاب جَهنَّم.

يظهر الالْتفَات إلَى التَّكلم في قَوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ﴾، بعد صيغَة الْغيبَة التي كانت الآيَة عليهَا في الأوَّل في قَوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾.

وقَوله: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القلم٣٤-٣٥]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى جزاء المتَّقين- لهم عند ربهم في الآخرة جنَّات النَّعيم.

الْتفَات إِلَى صيغَة التَّكلم فِي قَوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾، أي: أفنجْعَل الطَّائعين لله كالْكَافرين..

وقَوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ﴾ [الحاقة١٠-١١]، فِي الآيَة الْكَرِيمة إِشَارة إِلَى الْعقوبَة التي أخذت الطَّاغية فرعون، ومن سبقَه من الأمَم التي كَفرت برسلهَا، وأهْل قرَى قوم لوط التي انْقلبَت بسبَب الْكفْر والشّرك والْفَواحش.

يظهر الالْتفَات إِلَى التَّكلم فِي قَوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ﴾، أي: لما جَاوز المَاء حَدَّه، وارتفَع، حملنَاكم فِي السَّفينَة مَع نوح. وهذا الالْتفَات بعدمَا كان فِي الأوَّل بصيغَة الْغيبَة فِي قَوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

وقَوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ [الحاقة٤٣-٤٤]، أي: هذا الْقرْآن أنزلَه سبحَانه علاَّم الْغيوب على رسوله محمَّدﷺ.

يظهر الالْتفَات إِلَى التَّكلم فِي قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾، أي: ولو إِدَّعى محمَّد علينا شيْئا لم نقلْه.

وقَوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل٩-١١]، المخَاطب الرَّسول الْكَرِيم- ثمَّ الإِشَارة إِلَى مالك المشْرق والمغْرب لاَ مَعْبود سوَاه وهو سبحَانه وتعَالى، ثم يرجع بمخَاطبة الرَّسول- فاعْتَمد عليه أيُّها الرَّسول أي: (على الله)، وفَوض أمْرك له، ثمَّ الإِشَارة إِلَى قول المشْركين ونصْح الرَّسول الْكَرِيم- واصْبر علَى ما يقوله فيك وفِي دينك، وخالفْهم واعْرض عنهم، وبعْد التَّوجيه والنصْح، مواصَلة المخَاطب.

موضع الالْتفَات إِلَى صيغَة التكلم فِي قَوله: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: واتْركني- أيُّها الرَّسول- وهؤلاء المكذبين بآيات الله.

وقَوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبا٣٩-٤٠]، بدَأت الآيَة الكَريمة بصيغَة الْغيبَة: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: فمَن شاء إتَّخذ إلَى ربه مرْجعا.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التكلم في قوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾، أي: حذرنَاكم.

وقَوله: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا * فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق١٥-١٦]، أي: إنَّ ربَّه كَان بصيرا عَليما بحَاله، وهَذا بصيغَة الْغيبَة.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾، حيث يقسم سبحَانه وتعَالى باحْمرَار الأفق عند مَغيب الشَّمس.

وقَوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الاعلى٧-٨]، أي: العَلي الْقَدير يَعْلم ما تجْهر به كل نفْس وما تخْفي وهو علاَّم الْغيوب.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾.

وقَوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ * إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [الغاشية٢٤-٢٥]، هذا في صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ أي: (الذي تولَّى وكَفر)، ثم الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾، أي: رجوعهم.

وقَوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر٢٨-٢٩]، مخَاطبة النَّفْس المطْمئنَّة- ٱرْجعي إلَى رَبِّكِ راضية بقضَائه وقدَره.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾، أي: عداد عبَاد الله الصَّالحين.

وقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا﴾ [العلق١٤-١٥]، بدا بصيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم﴾، ثم الالْتفَات إلَى صيغَة التَّكلم في قَوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾

السادس

من الغيبَة الى الْخطَاب

ومعْنَاه أنْ يكون سياق الْكلاَم على ضَمير الْغيبَة ثم يلْتَفت إلَى ضَمير الْخطَاب.

كقَوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة٤-٥]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة منه إلَى أنَّه هو سبحَانه وتعَالى مالك يوم الْقيامَة، وهو يوم الْجزَاء على الأعْمَال.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، أي: نخصك وحْدَك بالْعبَادة، بعد صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

"وقَد جَاء الالْتفَات في هَذه السُّورَة بأَبْدع صوَره، حيث بدأَت الآيات بالْحمْد والثَّنَاء على الله بأسْلوب الْغيبَة إلَى أسْلوب الْخطَاب في قَوله تعَالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾."[1]

وقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة٦]، المخَاطب الرَّسول الْكريم- وفي الآيَة إشَارة إلَى الذين جحَدوا ما أنْزَل اليك من رَبّك إسْتكبَارا وطغْيَانا.

قَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ "كلام مستأنف سيق لشرح أحْوال الْكفرة الْغواة المردة."[2]

---

[1]- أنظر الشبل، ص٢٧.

[2]- أنظر ارشاد العقل، ص٣٥.

ويظهر الالْتفَات إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، قيل: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ "ولم يقل (عليك)."[1] اي: سوَاء خوَّفْتهم وحذَّرْتهم من عذَاب الله فهم لاَ يؤمنون. بعد مَا كانت الآيَة في صيغَة الْغيبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقَوله: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ﴾ [البقرة ٥٧]، المخَاطب قوْم موسَى- ومعنَى قَول الآية: وظلَّلنَا عليكم من حَر الشَّمس، وأنْزلنا عليكَم الصَّمْغ وطَيْر السَّماني. ﴿الْمَنَّ﴾: "شيءٌ كان يسْقط في السّحرَ على شجرهم فيجْتنونه حُلْواً يأكلونه. ﴿والسَّلْوَى﴾: طائر بعيْنه، وهو الذي سمّاه المولَّدُون سُمَّاني."[2]

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾، إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ﴾، فكلوا من طيبَات ما رزقْنَاكم بهَا. ﴿كُلُواْ﴾، "على إرادة الْقول اي قائلين لهم أَوْ قيل لهم كلوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ﴾ منْ مستلذاته."[3]

وقَوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران٢٨] موضع الالْتفَات في الآيَة قَوله تعَالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ بأسْلوب الْخطَاب بعد قَوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾

---

[1]- أنظر ارشاد العقل، ص٣٧.

[2]- أنظر المجاز، ٩٣/١.

[3]- أنظر ارشاد العقل، ١٠٤/١.

بأسْلوب الْغيبَة. " كما جاء في روح المعاني عند الألوسي، يقول: إلاَّ أنْ تتَّقوا أي على صيغة الْخطاب بطريق الْغيبة إستثناء مفرغ من أعم الأحْوال والْعامل في النَّهي معْتبرا فيه الْخطاب أي لا تتَّخذوهم أوْلياء في حال من الأحْوال إلا حال تقاكم."[1]

وقَوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[آل عمران٥٥] الْتفَات من ضَمير الْغَائب في قَوله تعَالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ثم إنْتقَلت الآيَة إلَى مخَاطبتهم بقَوله تعَالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ "الآيَة المبَاركة بدَأت بخطَاب عيسى عليه السَّلام بأمْر خَاص به حيث وفَاته ورفْعه إلَى السَّماء وتطْهيره من الذين كفَروا.[2]

وقَوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران١٠٦]، موضع الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم وفي الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى أهْل الشَّقَاوة الذين كذَّبوا رسوله، وعصوا أمْره، فيقول لهم أكفَرْتم بعد إيمانكم.

الالْتفَات إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، أي: فذوقوا الْعذاب بسبَب كفْركم.

---

[1]- أنظر مجلة اشكالات، ص٥.

[2]- خديجة محمد احمد البناني: رسالة للحصول على درجة التخصص (الماجستير) في اللغة العربية وادابها بعنوان، (الالتفات في القرآن الكريم الى اخر سورة الكهف)، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، ص١٠٠.

وقَوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران١٨٠]، الالْتفَات في قَوله تعَالى: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بصيغَة الْخطَاب بعد أسْلوب الْغيبَة عند قَوله تعَالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ والسّر في هذا كمَا يقول المفسّرون إنَّ الْخطاب أبْلغ في الْوعيد من صيغة الْغيبَة فهو أقرَع لأذن السَّامع وأنفَذ إلَى لبّه. "وفيه اسْتحضار الصّورة ما يفوق الْغيبة بكثير ولهذا حوَّل المولى الْحكيم الأسْلوب من الْغيبة التي كانت عليها صيغة الْحكاية إلى هذه المواجهة الْقويَّة في أنَّه يعْلم ما يعْملون سبحانه."[1]

وقَوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾ [الانعام٦]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى إهْلاك الأمَم السَّابقَة وتمْكينهم في الأرض.

وموضع الالْتفَات من صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾، أي: ما حلَّ بالأمَم المكذّبة قبلهم بالهلاَك والتَّدْمير. يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾، أي: مكَّناهم في الأرض مَا لم نمكّن لكم أيُّهَا الْكافرون.

وقَوله: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾ [الأعراف ١٦٩]، ومحَل الالْتفَات هو في قَوله تعَالى: (أَفَلاَ تَعْقِلُون)، فانْتقَل من الْغيبَة إلَى الْخطَاب ليكون أوقَع في توجيه التَّوْبيخ إليهم مواجهَة.

وقَوله: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الاعراف١٧٢]، بدأت الآيَة بصيغَة الغيبَة في

[1]- أنظر مجلة اشكالات، ص٦.

قَوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ﴾، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- أذْكر إذ اسْتخرَج ربك أبْناء آدم ومن أصْلاَبهم ذريَّة، قرَّرهم بتوحيده وهو ربّهم وخَالقهم، فأقرُّوا له بذلك.
الالْتفَات إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، أي: أقامت عليهم الْحجَّة خشْية أنْ ينْكروا يوم الْقيامَة.

وقَوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصْدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [الانفال٣٥]، في الآيَة إشَارة إلَى صلاَة المشْركين عند المسجد الْحرَام إلاَّ صَفيرا وتَصْفيقا.
يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾، أي: فذوقوا الْعذَاب جزاء مَا فعَلْتم.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال٥٠]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى كيفية قبْض الملاَئكة أرواح الكفَّار وانتزاعها، تصوير دقيق في الآيَة وتصرُّفات هؤلاَء الْكفَّار، يضْربون وجوههم وأدْبَارهم عنْد الإقْبال، وظهورهم في حَال فرَار.
يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، بعْد أنْ كان بصيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾.

وقَوله: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة ٣]، ومحلّ الالْتفَات هو في قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، خطَاب فيه إعْلاَم وإنْذَار من الله ورسوله إلَى النَّاس يوم

النَّحر- أنَّ الله بريء من المشْركين، ورسوله بريء منهم، ولو لم يلْتفَت لقال: (فإنْ يتوبوا)، والْغرَض من هذا الالْتفَات من الْغيبَة إلَى الْخطَاب هو التَّهديد والتَّخْويف.

وقَوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ [التوبة٣٥]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى كيْفية تعْذيب الذين يكْنزون الذَّهَب والْفضَّة، وكيف توضع قطع الذَّهب والْفضة في النَّار، فإذا اشْتدَّت حرارتهَا، أُحْرقَت بها جبَاه وظهور الذين يكْنزونها.

يظهر الالْتفَات من صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾، إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾.

وقَوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة ١١١]، فقَد تحوَّل السياق من الْغيبَة إلى خطَاب المؤمنين في قَوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾؛ لأنَّ في خطَابهم بذلك تشْريفاً لهم.

وقَوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد٧]، في الآيَة إشَارة إلَى قَوْل كفَّار مكَّة: هلْ جائتْه معْجزة، كعصا موسى وناقة صَالح، ثم مواصلة الآية بمخَاطبة الرَّسول الْكريم ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ﴾، إلى الْخطاب في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾، أي: إنَّمَا أنْت يا محمَّد إلاَّ مبلّغ.

وقَوله: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل٥٥]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلى الذين يجْحدون نعم الله عليهم.

يظهر الالْتفَات من صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ إلى صيغة الخطَاب في قَوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، أي: فاسْتمتعوا بدنْيَاكم، فسترون عاقبَة كفْركم.

وقَوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لاَ يَعۡلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقۡنَاهُمۡ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُون﴾ [النحل٥٦]، فالْتَفت في قَوله تعَالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾ من الْغيبَة إلَى الْخطَاب لكي يواجههم بالتَّوبيخ والتَّقْريع.

وقَوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ [النحل٥٦]، أي: يجْعلون للأصْنَام التي يعْبدونها آلهة، وهي لاَ تعْلم ولا تنْفَع ولا تضر، ويمدُّونها بأمْوال رزقهم الله سبحَانه وتعَالى إيَّاها.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ﴾ إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾، أي: عمَّا كنتم تعْمَلونه.

وقَوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا * لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ [مريم٨٨-٨٩]، "ولم يقل: (ولقد جاءوا) للدَّلاَلة على أنَّ منْ قَال مثل قولهم ينْبغي أن يَكون موبخا عليه، منْكرا عليه قَوله، كأنَّه يخَاطب به (قوما) حاضرين."[1]

نلاحظ أنَّ الالْتفَات في الآيَة من ضمير الْغيبَة في قَوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾، إلَى ضَمير الْخطَاب ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾.

[1]- أنظر البرهان، ٣٨٨/٣.

وقَوله: ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه٣٩]، من قصَص الْقرْآن الْكَريم- في الآيَة إشَارة إلَى قصَّة موسَى عليه السَّلام- ومخَاطبة أمّ موسَى- ومعنَى الْقَول: أنْ الْقي إبنك في الْيَم يأخذه فرعون عَدوي وعدوّه.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿يَأۡخُذۡهُ﴾، إلَى صيغَة الْخطَاب في قَوله: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ﴾، أي: صرْت بذلك محْبوبا بين الْعبَاد.

وقَوله: (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) [المؤمنون١٤-١٥]، فانْتقَال السياق من الْغيبَة إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾؛ لأن التَّخْويف والتَّذْكير بالموت إنَّما ينَاسبه الْخطَاب .

وقَوله: ﴿لَّوْلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور١٢] أي: لقد ظنَّ المؤمنون والمؤمنَات بعْضهم ببعْض خيرًا عنْد سمَاعهم ذلك الإفْك، وهو السَّلامة ممَّا رموا به، وقَالوا: هذا كذْب ظاهر على عائشَة رضيَ الله عنهَا.

نلاحظ الالْتفَات في هذه الآيَة في قَوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، "حيث أسْند فعل الظَّن إلَى الاسم الظَّاهر (والإسم الظَّاهر من باب الْغيبَة) لاَ إلَى المخاطبين الملائم لظَاهر السياق –ظننتم-"[1]

وقَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ﴾ [النور٦٢]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- وفي الآيَة إشَارة إلَى المؤمنين بالله ورسوله حقًّا.

[1]- أنظر حسن طبل، ص١٠٤.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ﴾، أي: فإذَا اسْتَأذنوك أيُّهَا النَّبي لبعض حاجَتهم فأذن لهم.

وقَوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]، ونلاحظ التَّشريف: ويأتي الالْتفَات في الْخطاب للتَّشريف والرفْع من شَأن المخَاطب الْغيبة إلَى مخاطبة النَّبيﷺ- في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ تشْريفاً له بهذا الْخطاب.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان٣٢]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلى قوْل الذين كفروا: هل أُنْزل الْقرْآن على محمَّد جمْلة واحدة كالْكتب الأخْرى (التَّوراة والانجيل)

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ﴾، إلى الْخطَاب في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾، المخاطب الرَّسول الْكَريم- ومعنَى الْقول: أنْزلناه مفرقا (الْقرْآن)، لنقوي به قلْبك.

وقَوله: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ [النمل٢٥]، في الآية إشارة الى الذين حسَّن لهم الشَّيطَان لئلا يسْجدوا للذي يخْرج المخْبوء المسْتور في السَّماوات والأرض، "قَوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّه﴾ أنَّ أبا حنيفة والشَّافعي اتَّفقا على أنَّ سجدات الْقرْآن أربع عشرة وانَّما اخْتلفا في

سجدة (ص) فهي عنْد أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشَّافعي سجْدة شكْر وفي سجْدتي سورة الحج."[1]

يظهر الالْتفَات من الغيبَة في قَوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ﴾، إلَى الخطَاب في قَوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

وقَوله: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل٩٠]، في الآيَة إشَارة إلَى من جاء بالشّرْك والأعْمَال المنكرة، فجزائهم أنْ يكبهم الله على وجوههم يوم الْقيامَة.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾، إلَى الْخطَاب في: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، الْخطَاب فيه توْبيخ من الله- هل تجْزون إلاَّ مَا عملْتم في الدنيا؟

وقَوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ [مريم٨٨-٨٩]، فعدل عن الْغيبَة في ﴿قَالُوا﴾ إلَى الْخطَاب في ﴿جِئْتُمْ﴾؛ لأنَّ من يزعم إتخاذ الرَّحْمن ولداً لا شكَّ أنَّه مفْتون في دينه، ويسْتنكر منْه هذا الْقَول الآثم، وينْبغي أنْ يوبخ عليه، وتوبيخ الْحاضر أشد نكَاية دائماً من توبيخ الْغائب، وهذا سر الالْتفات في هذه الآيَة الْكَريمة.

وقَوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ [العنكبوت٨]، المخَاطب الإنسَان- وفي الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى بر الوالدين والْحسن إليهمَا قولا وعمَلا.

الْتَفت من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾، الإبْقاء على المخَاطب- وإنْ جاهَداك لتشْرك بي فلا تمْتثل لأمْرهما.

---

[1]- أنظر محي الدين الدرويش، مج٨، ص١٩٧.

وقَوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ﴾ [العنكبوت١٦-١٧]، إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [العنكبوت٢٤]،

"وقيل: إنَّما أخْتير لفْظ الْغيبَة للْحمْد، وللْعبَادة الْخطاب للإشَارة إلَى أنَّ الْحمد دون الْعبادة في الرتبة، لأنَّك تحمد نظيرك ولا تعبده، فاسْتعمل لفْظ الْحمد مع الْغيبة ولفْظ الْعبادة مع الْخطاب، لينسب إلى الْعظيم حال المخَاطبة كقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة٧]"[1]

وقَوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ [الأحزاب: ٥٥] ومحلّ الالْتفات من الْغيبة إلى الْخطَاب هو في قَوله تعالى: ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾، ولم يقل: ويتَّقين الله، وكأنَّه قيل واتَّقين الله فيما أمرتن به من الإحْتجَاب وما أنزل فيه الوحْى من الإسْتتار واحْتطن فيه، وفي السياق فضل تشْديد في طلب التَّقوى منهن.

وفائدة الالْتفَات التَّشْديد في طلب أمْر من الأمور.

وقَوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف٧١]، في الآية الْكريمة إشارة إلى الذين آمنوا بالله ورسوله في الْجنَّة، يطاف عليهم بأوان من ذهب، وبالشَّراب بأوان من ذهَب، وفي الْجنَّة ما تشتهيه الأنْفس وتلذه الأعْين.

---

[1]- أنظر الاتقان، ١٧٣٦/٥.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾، إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، المخَاطب أهْل الْجنَّة الذين ذكرتهم الآيَة- قَوله: وهم فيها ماكثون لا يزولون.

وقَوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٞ لَّا يُؤْمِنُونَ * فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف٨٨-٨٩]، قال الرَّسول الْكريم شاكيا إلى ربّه: أنَّ هؤلاء لايؤمنون.

يظهر الالْتفَات من صيغَة الْغيبَة في قَوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾، إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾،.

وقَوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان٤-٦]، أصْل الْكلام: "إنَّا مرسلين، رحْمة منَّا"، ولكنَّه وضع الظَّاهر: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾، موضع المضْمر (منَّا)؛ للإنذار بأنَّ الرّبوبية تقْتضي الرَّحْمة للمرْبوبين. الإتْمام: ومنها أنْ يكون الْغرض به تتْميم معنى مقْصود للْمتكلم، فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له.

وقَوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان١٤-١٥]، في الآيَة الْكَريمة إشَارة إلَى مَا قاله المشْركون في رسول اللهﷺ بعد الإعْراض عنه: علَّمه بشرا أو الْكهنة أو الشَّياطين، ما هو إلاَّ مَجْنون؟

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ﴾ إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فتوجَّه إلَى المخَاطب- ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾، وأنَّكم راجعون لا شكَّ ولا ريْب.

وقَوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [محمد٢١-٢٢]، في الآيَة إشَارة إلَى المنافقين-

فقال: فإذا جاء أمْر الله بفرض الْقتَال كره المنافقون ذلك، فلوا صدقوا في الإيمان لكان خيرا لهم.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ﴾، إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، المخَاطب المنَافقون- فلعلَّكم إن أعَّرضتم عن كتَاب الله وسنَّة نبيّه أن تعْصوا الله.

وقَوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ [الطور١٨-١٩]، أي: نجَّاهم من عذاب النَّار.

الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾، إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾.

وقَوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٣-٤]، فانْتَقل السياق من الْغيبَة في الآيَة الأولى إلَى الْخطَاب في بدايَة الآية الثَّانيَة فقَال: ﴿إِن تَتُوبَا﴾، وفي هذا الالْتفَات بالْخطَاب معنى الْعتَاب.

وقَوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم٣٥-٣٦]، أي: أفنجْعل الْخاضعين الْخاشعين لله كالْكافرين؟

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلَى الخطَاب في قَوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، أي: مَا لكم وكيف حكمْتم هذا الْحكم؟

وقَوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة٣٣-٣٤]، في الآيَة الْكريمة إشَارة إلى الْكافر الذي لا يؤمن بالرَّسول والْقرْآن، ثم مضى إلى أهله يتبخْتر مخْتالا في مشْيته.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة في قَوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾، إلى الْخطَاب في قَوله: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾، الإبْقَاء على المخَاطب وقَوله له: هلاك لك فهلاك.

وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَنۡ جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ * وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس١-٣]، وفي الإنْتقَال من الْغيبَة إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ معنى الْعتَاب.

وقَوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الفجر١٦-١٧]، المخَاطب الإنْسَان- الذي إذا اخْتبره ربه وضيَّق عليه، يقول: ربي أهانني.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلَى الْخطَاب في قَوله: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾، أي: ليْس الأمْر كما يظن، بل الإكْرام بطاعة الله، وأنْتم لا تكْرمون الْيتيم.

وقَوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العلق٦-٨]، أي: حقا أَن الإنْسَان ليتجاوز حدود الله إذ أبطَره الغنى.

يظهر الالْتفَات من الْغيبَة إلى الْخطَاب في قَوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾. إنَّ إلَى ربك المرْجع والمآب.

المبحث الثاني: الأفْعَال

ينْتقل الالْتفَات في الأفْعَال: من المَاضي إلَى الأمْر، ومن المضَارع إلَى الأمْر، ومن المَاضي إلَى المضَارع، ومن الفعْل المضَارع إلَى فعْل الماضي، ومن الأمْر إلَى الماضي، ومن الأمْر إلَى المضَارع ..

الأول

من الفعْل المَاضي إلَى فعْل الأمْر

كقَوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَٱدْعُوهُ﴾ [الاعراف٢٩]، المخَاطب الرَّسول الكَريم- قلْ أيها الرَّسول لهؤلاء المشْركين- أمر رَبِّي بالْعَدْل، وأمَر بأنْ تخْلصوا له الْعبادَة في كل المواضع، وبخاصَّة في المسَاجد، وأنْ تدْعوه مخْلصين له الطَّاعَة والعبَادة، ﴿أَمَرَ﴾ فعل ماض، ﴿ٱدْعُو﴾ فعل أمْر. "﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور."[1]

يظهر الالْتفَات في قَوله: ﴿أَمَرَ﴾، من فعل الماضي إلَى فعل الأمْر في قَوله: ﴿وَٱدْعُوهُ﴾.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ﴾ [الحج٣٠]، خطاب المؤمنين- وما أحلَّ لكم أكْل الأنْعام إلاَّ ما حرَّمه عليكم ما ذكر لكم في الْقرْآن من الميتة وغير ذلك فاجْتنبوه. الْتفات من الماضي في قوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ﴾ إلى الأمْر في قوله: ﴿واجْتنبوا﴾.

الثاني

من المضَارع إلى فعْل الأمْر

كقَوله تعَالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود٥٤]، في الآيَة الْكَريمة- إشَارة إلَى نبي الله هود وقومه، قَال لهم ﴿هود﴾: إني أشْهد الله على ذلك وأشْهدكم أنني بريء مما تشْركون.

الْتفَات من المضَارع في قَوله: ﴿أُشْهِدُ﴾، إلَى الأمْر في قَوله: ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ﴾

[1]- أنظر السعدي، ٨/ ٣٢١.

الثالث

من الفعْل الماضي إلى المضَارع

كقوله تعالى:﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ﴾ [البقرة٢١٢]، "يخْبر تعالى أنَّ الذين كفروا بالله وبایاته ورسله، ولم ينْقادوا لشرعه، أنَّهم زيّنت لهم الْحياة الدّنيا، فزيّنت في أعينهم وقلوبهم، فاحْتقروا المؤمنين واستهزاوا بهم."[1] ﴿زيّن﴾ فعل ماض مبنيّ للْمجهول اللاّم حَرف جرّ، ﴿يَسۡخَرُونَ﴾: مضَارع مرفوع. والواو فاعل.

نلاحظ كيف جَرى النسق في الآيَة الْكَريمة بين الْفعل الماضي في قَوله تعَالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ثم الْتَفت إلَى فعل المضَارع في قَوله: ﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾.

وقَوله: ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران١٨٧]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- واذكر أيُّهَا الرَّسول- إنَّ العهد الموثَّق على الذين أتاهم الله الْكتَاب من الْيهود والنَّصارى، تركوا الْعهد ولم يلتزموا به، وأخذوا ثمنا زهيدا مقابل كتْمانهم الْحَق. "الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا، وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، فبئس ما يشترون."[2]

---

[1]- أنظر السعدي، ٩٤/٢.

[2]- المرجع نفسه، ١٧١/٤.

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم المقدَّر على الألف المحذوفة لإلْتقاء الساكنين، ﴿يَشۡتَرُونَ﴾: مضارع مرفوع والواو فاعل.

يظهر الالْتفَات من المَاضي ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾، إلَى المضَارع ﴿يَشۡتَرُونَ﴾.

وقَوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ [الاعراف١٣١]، أي: فإذَا جاء الْخصْب لفرعون وقوْمه قَالوا: هذا ما نسْتحقه، وإنْ يصبْهم جدْب وقحْط يتشائمون. ﴿جاءَتْهُمُ﴾: فعل ماض والتَّاء للتأنيث والهاء مفعول به، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾: إنْ شرْطية تصبْهم فعل مضارع مجْزوم لأنَّه فعل الشَّرْط،

نلاحظ الالْتفَات من الماضي ﴿جاءَتْهُمُ﴾ إلى المضارع ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾

وقَوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا﴾ [هود٧٤]، أي: فلمَّا زال عن ابراهيم الْخوف الذي إنْتابه لعدم أكل الضيوف الطَّعام، وجائته البشْرى باسْحاق ويعقوب ظلَّ يجادل رسلنا.

﴿ذَهَبَ﴾: فعل ماض، ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ يجادل: فعل مضارع.

يظهر الالْتفَات من الْفعل الماضي ﴿ذَهَبَ﴾ إلى الْفعل المضارع ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾.

وقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد٢٧]، الذين في قلوبه الإيمان بتوحيد الله وذكره تطْمئن قلوبهم. "أي يزول قلقها واضطرابها، وتحْضرها أَفْراحها ولذَّاتها."[1]

﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضَّم، ﴿تَطۡمَئِنُّ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامَة رفعه الضَّمة الظَّاهرة.

[1]- أنظر السعدي، ٤٨٣.

ونلاحظ الالْتفَات من الْفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾ إلى المضارع ﴿تَطْمَئِنُّ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل٤٢]، ﴿صَبَرُواْ﴾: ماض وفاعله والجملة صلة، ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والجملة معطوفَة على ما قبلَها لا مَحل لها.
نلاحظ كيف يظهر الالْتفَات من الفعل الماضي في ﴿صَبَرُواْ﴾ إلَى المضارع في ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل٤٣]، ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل ماض، ﴿نُّوحِيٓ﴾: مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء.. والفَاعل نحن للتعظيم.
نلاحظ الالْتفَات من الفعل الماضي في ﴿أَرْسَلْنَا﴾ إلَى المضارع في ﴿نُّوحِيٓ﴾.

وقَوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل٩٩]، ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ "أي: تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وحده لا شريك له."[1] ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض، ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: مضارع مرفوع.. والواو فاعل.
ونلاحظ الالْتفَات من الفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾ إلَى الفعل المضارع ﴿يَتَوَكَّلُونَ).

وقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت٥٩]، ﴿صَبَرُواْ﴾: ماض، ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: مضارع مرفوع بثبوت النُّون والواو فاعله والجمْلة معطوفة على ما قبلها لا محل لها.
يظهر الالْتفَات من الفعل ﴿صَبَرُواْ﴾ إلَى المضارع ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾.

---

[1]- أنظر السعدي، ١٤ /٥٢١.

وقَوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر٩].

ففي هذه الآيَة عدول عن صيغَة الماضي إلَى صيغَة المضارع ﴿أَرۡسَلَ- فَتُثِيرُ﴾.

وقَوله : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر٢١]، ﴿أَنزَلَ﴾: ماض فاعله مسْتتر وجملة أنزل خبر، ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾: حرف عطف وماض ومفعوله والفَاعل مستتر. ﴿يُخۡرِجُ﴾: مضَارع فاعله مستتر، ﴿يَهِيجُ﴾: مضارع فاعله مستتر، ﴿فَتَرَىٰهُ﴾: حرف عطف ومضَارع ومفْعوله والفاعل مسْتتر، ﴿يَجۡعَلُهُۥ﴾: مضارع ومفعوله الأول والفَاعل مستتر.

نلاحظ الالْتفَات من الأفعَال ﴿أَنزَلَ، فَسَلَكَهُۥ﴾ إلَى الأفعال ﴿يُخۡرِجُ، يَهِيجُ، فَتَرَىٰهُ﴾.

وقَوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ [غافر١٢]، ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾: ماض وفاعله والْجمْلَة جواب شرط لا محل لها، ﴿يُشۡرَكۡ﴾: مضارع مجْزوم.

نلاحظ الالْتفَات من الماضي ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ إلَى المضارع ﴿يُشۡرَكۡ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ [الشورى٤٨]، ﴿أَذَقۡنَا﴾: ماض، ﴿تُصِبۡهُمۡ﴾: مضارع فعل الشرْط والهاء مفعول به.

يظهر الالْتفَات من الماضي ﴿أَذَقۡنَا﴾ إلى المضارع ﴿تُصِبۡهُمۡ﴾.

وقوله: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ * وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الزخرف٦-٧]، ﴿أَرۡسَلۡنا﴾: ماض. ﴿يَسۡتَهۡزِؤُنَ﴾: مضَارع مرفوع والواو فاعله والْجملة خبر كانوا.

يظهر الالْتفَات من الماضي ﴿أَرْسَلْنا﴾ إلَى المضارع ﴿يَسْتَهْزِؤُنَ﴾.

وقَوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [الحديد٢٠]، ﴿أَعْجَبَ﴾: ماض، ﴿يَهِيجُ﴾: مضارع فاعله مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها.

نلاحظ الالْتفَات من الماضي ﴿أَعْجَبَ﴾ إلَى المضارع ﴿يَهِيجُ﴾.

الرابع

من المضَارع إلى الفعْل الماضي

كقَوله تعَالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾ [البقرة٢١٥]، ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾: فعل مضارع والواو فاعل والْكاف مفعول به، ﴿يُنْفِقُونَ﴾: فعل مضارع وفاعل والجملة صلة الموصول. فعل ماض والتاء فاعل وهو في محل جزم فعل الشرط.

نلاحظ كيف يظهر الالْتفَات من المضَارع في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ إلى الفعل الماضي في ﴿أَنفَقْتُم﴾. "فإن قلت كيف طابق الْجَواب السؤال في قَوله: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾ وهم قد سَألوا عن بيان ما ينْفقون واجيبوا ببيان المصْرف؟ قلت: قد تضمن قوله: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِنْ خَيرٍ﴾: بيان ما ينْفقونه وهو كل خير."[1]

وقَوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود٩٨]، أي: يقدم فرعون قَومه يوم الْقيامة، حتىَّ يدخلهم النَّار، ﴿يَقْدُمُ﴾: مضارع. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾: الفَاء عاطفة وماض ومفعوله الأوَّل وفاعله مسْتتر.

[1]- أنظر الكشاف، ٤٢٢/١.

"يظهر الالْتفَات من المضَارع في ﴿يَقْدُمُ﴾ إلَى الماضي في ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾. قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾"[1] أي: كَما كان قدوة لهم في الضَّلال، كذلك يتقدَّمهم إلَى النَّار وهم يتبعونه."

وقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمُ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل٢٨]، أي: الذين تقْبض أَرواحهم الملائكة في حال ظلمهم لأَنفسهم بالكفْر، فاسْتَلموا لأَمْر الله. ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾: مضارع، ﴿أَلْقَوُا﴾: ماض.

يظهر الالْتفَات من المضارع في ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ إلى الماضي في ﴿أَلْقَوُا﴾. قوله: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: "فسالموا وأَخْبتوا، وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدُّنيا من الشّقاق والْكبر."[2]

وقَوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل٨٩]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- واذكر أيهَا الرَّسول حين الْبعْث يوم الْقيامة ومَع كل أمَّة نبْعَث شهيدا عليهم، وجئنَا بك شهيدا على أمَّتك، وقد نزَّلنا عليك الْقرْآن توضيحا لكل ما يحتاج توضيحه، وبشارة طيبة للْمسْلمين، ﴿نَبْعَثُ﴾: مضارع فاعله مسْتتر، ﴿وَجِئْنا﴾: ماض وفاعله والْجملة معطوفة على ما سبق. ﴿وَنَزَّلْنا﴾: ماض.

ومن مواطن الْعدول عن صيغَة المضَارع إلَى صيغَة الماضي في قَوله ﴿نَبْعَثُ – جِئْنَا- نَزَّلْنَا﴾. قوله: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ "يعني:

---

[1]- أنظر الكشاف، ٢٣٣/٣.

[2]- المرجع نفسه، ٤٣٣/٣.

نبيهم، لأنَّه كان يبْعث أنْبياء الأمَم فيهم منهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمَّد، ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ علَى أمَّتك."[1]

وقَوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف٤٧]، المخَاطب الرَّسول الْكَريم- واذْكر لهم يوم نزيل الْجبال عن أماكنها، وتصْبح الأرض بارزَة ليْس عليها ما يسْترها، وجمعْنا كل المخلوقات، ﴿نُسَيِّرُ﴾: مضارع فاعله محذوف، ﴿وَحَشَرْناهُمْ﴾: ماض وفاعله ومفعوله والْجملة معْطوفة.

الالْتفَات من المضارع في ﴿نُسَيِّرُ﴾ إلى الماضي في ﴿وَحَشَرْناهُمْ﴾.

وقَوله: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف٤٩]، أي: عندما يوضع كتاب أعْمال كل واحد في يمينه او في شماله. يظهر على الْعُصاة الْخوف بسبب أعْمالهم، فيقُولون: ياويْلنا لم يترك هذا الْكتاب صغيرة ولا كبيرة من أفْعالنا إلا أثْبتها. ووجدُوا أعْمالهم في الدُّنيا حاضرة ومثبَّتة. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو عاطفة ومضارع مرفوع بثبوت النّون والواو فاعل والجملة معطوفة، ﴿لا يُغادِرُ﴾ لا: نافية يغادر: مضارع فاعله مسْتتر والْجمْلة حالية، ﴿أَحْصاها﴾ ماض فاعله مسْتتر والها مفعول به والْجمْلة صفة لصغيرة، ﴿عَمِلُوا﴾ ماض وفاعله والْجمْلة صلة.

يظهر الالْتفَات من المضَارع (يَقُولُونَ- يُغادِرُ) إلَى الماضي (أَحْصاها- عَمِلُوا).

وقَوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ [الكهف٥٦]، أي: يخاصم الذين كفروا رسلهم

[1]- أنظر الكشاف، ٤٦٢/٣.

بباطلهم ليزيلوا ا لْحَقَّ الذي جائهم به الرَّسول، واتَّخذوا كتابي وحججي سخرية.

يظهر الالْتفَات من ﴿يُجَٰدِلُ- يُدْحِضُواْ﴾ إلى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾.

﴿وَيُجادِلُ﴾ الْواو عاطفة ومضارع واسْم المؤْصول في محل رفْع فاعل والْجمْلة معْطوفة ﴿كَفَرُوا﴾ ماض وفاعله والْجملة صلة ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ اللاَّم لام التَّعليل ومضارع منْصوب بأنْ المضْمرة بعد لام التَّعليل وعلامة نصْبه حذْف النُّون والْواو فاعل واللاَّم وما بعْدها في تأْويل مصْدر متعلقان ب ﴿يُجادِلُ﴾ ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الْواو عاطفة وماض وفاعله والْجمْلة معْطوفة.

ويظهر الالْتفَات من المضَارع في ﴿يُجَٰدِلُ﴾ إلَى الماضي في ﴿كَفَرُوا﴾ ثم إلَى المضارع في ﴿يُدْحِضُواْ﴾ ثم إلى الماضي ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾.

وقَوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان٢٥]، (تَشَقَّقُ) مضارع، ﴿وَنُزِّلَ﴾ ماض مبني للْمجهول.

يظهر الالْتفَات من المضارع في ﴿تَشَقَّقُ﴾ إلى الماضي في ﴿وَنُزِّلَ﴾.

واذْكر- أيُّها الرَّسول- ذلك الْيوم الذي تتشقَّق فيه السَّماء، ويظهر من فتحَاتها السَّحاب الأبْيض الرَّقيق، وينزل الله ملائكة السَّموات يومئذ، فيحيطون بالْخلائق في المحشر، ويأتي الله تبَارك وتعَالى لفصْل الْقضاء بين الْعباد، إتْيانًا يليق بجلاله.

وقَوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء٤] "فقد خالف في الْعطف، فعطف ﴿فَظَلَّتْ﴾ على ﴿نُنَزِّلْ﴾ ولو قيل أنْزلنا لكان صحيحا ولعلَّه كان مما يقْتضيه السياق ولكنَّه خولف لأنَّ في عطف الماضي على المستقبل إشعارا

بتحْقيقه وأنَّه كائن لا محالة، لأنَّ الْفعل الماضي يدل على وجود الْفعل وكوْنه مقْطوعا، وله في الْقرآن نظائر."[1]

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل٨٧]، ونُفِخ في "الْقرْن" فمات كلُّ مَن في السَّموات والأرض، ﴿يُنْفَخُ﴾ مضارع مبني للْمجهول، ﴿فَفَزِعَ﴾ الْفاء حرف عطْف وماض.

نلاحظ الالْتفَات من المضارع في ﴿يُنْفَخُ﴾ إلَى الماضي في ﴿فَفَزِعَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان١٢]، ﴿يَشْكُرْ﴾ مضارع مجْزوم لأنَّه فعْل الشَّرْط، ﴿يَشْكُرْ﴾ مضارع فاعله مسْتتر، ﴿كَفَرَ﴾ ماض فاعله مسْتتر.

نلاحظ الالْتفَات من الأفْعَال ﴿يَشْكُرْ- يَشْكُرْ﴾ إلَى الْفعل الماضي ﴿كَفَرَ﴾.

وقوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الاحزاب٨]، ﴿لِيَسْئَلَ﴾ مضَارع منصوب بأنْ مضْمرة بعد لام التَّعْليل والْفاعل مسْتتر والمصدر المؤول من أن والْفعْل في محل جر باللاَّم والْجار والمجرور متعلقان بأخذنا، ﴿وَأَعَدَّ﴾الْواو حرف عطْف وماض فاعله مسْتتر.

نلاحظ الالْتفَات من المضَارع ﴿لِيَسْئَلَ﴾ إلَى الماضي ﴿وَأَعَدَّ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [فاطر٢٩]، ﴿يَتْلُونَ﴾ مضارع مرْفوع بثبوت النُّون والْواو فاعله والْجملة صلة، ﴿أَقامُوا﴾ ماض.

---

[1]- أنظر محي الدين الدرويش، مج٧، ص٥٥.

نلاحظ الالْتفَات من المضَارع ﴿يَتْلُونَ﴾ إلَى الماضي ﴿أَقامُوا﴾.

وقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾ [الشورى٢٨]، ﴿يُنَزِّلُ﴾ مضارع، ﴿قَنطُوا﴾ ماض وفاعله والمصدر المؤول من مَا والْفعل في محل جَر.

نلاحظ الالْتفَات من المضَارع ﴿يُنَزِّلُ﴾ إلى الماضي ﴿قَنطُوا﴾.

وقَوله: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الشورى٤٥]، ﴿يُعْرَضُونَ﴾ مضارع مبْني للْمجْهول والْواو نائب فاعل والْجملة حالية، ﴿يَنْظُرُونَ﴾ مضارع مرفوع والْواو فاعله، ﴿وَقالَ﴾ الْواو حرف استئْناف وماض.

يظهر الالْتفَات من المضَارع ﴿يُعْرَضُونَ- يَنْظُرُونَ﴾ إلَى الماضي ﴿وَقالَ﴾.

وقَوله: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ﴾ [الممتحنة٢]، ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾ إنْ شرْطية ومضارع مجْزوم بحذْف النُّون والْواو فاعله والْكاف مفْعول به والْجملة ابْتدائية لا محل لها، ﴿يَكُونُوا﴾ مضارع ناقص مجْزوم لأنه جواب الشّرط والْواو اسْمه والْجملة جواب الشَّرْط لا محلَّ لها، ﴿وَيَبْسُطُوا﴾ مضارع معْطوف على يكونوا، ﴿وَوَدُّوا﴾ ماض وفاعله والْجملة معْطوفة على ما قبْلها.

نلاحظ الالْتفَات من المضَارع ﴿يَثْقَفُوكُمْ- يَكُونُوا- وَيَبْسُطُوا﴾ إلَى الماضي ﴿وَوَدُّوا﴾.

الخامس

من الأَمْر إلى الماضي

كقَوله تعَالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة١٢٥]، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ الْواو عاطفة اتَّخذوا فعل أمْر مبني

على حذْف النُّون لاتِّصَاله بواو الْجماعة والْواو ضمير متَّصل في محل رفْع فاعل، ﴿وَعَهِدْنا﴾الْواو عاطفة، عهِدْنا فعْل ماض وفاعل.
نلاحظ الالْتفَات من الأمْر ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ إلَى الماضي ﴿وَعَهِدْنا﴾.

السادس

من الأَمْر إلَى المضَارع

كقَوله تعَالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الانعام٧٢]، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾ فعْل أمْر مبْني على حذْف النُّون لأنَّه من الأفْعال الْخمْسة، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ فعل أمْر مبْني على حذف النُّون، والْواو فاعله والْهاء مفعوله. والْجملة معْطوفة على ما قبْلها، ﴿تُحْشَرُونَ﴾ مضارع مبْني للْمجْهول مرْفوع بثبوت النُّون والْواو نائب فاعله، والْجمْلة صلة الموصول لا محل لها. ونلاحظ الالْتفَات من الأمْر في ﴿أَقِيمُوا- اتَّقُوهُ﴾ إلَى المضَارع ﴿تُحْشَرُونَ﴾.
أمرَنا بأن نقيم الصَّلاة كاملة، وأن نخشاه بالتباع أوامره واجْتناب نواهيه. ومن الأمْر الْتَفت إلى المضارع، بأنَّه سبحَانه وتعَالى إليه تحْشر كل الْخَلائق يوم الْقيامة.

المبحث الثالث: في الاعْداد

الاول

الانْتقَال من خطَاب الْوَاحد إلى خطَاب الاثْنَين

كقَوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة٦٤]، "لا يقصد من يتكلم به

إثبات يد ولا غل ولا بسْط، ولا فرق عنْده بين هذا الْكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنَّهما كلامان متعاقبان على حقيقة واحدة."[1].

نلاحظ الالْتفَات من الْواحد في قَوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ إلَى الْجمع في قَوله: ﴿وَلُعِنُواْ﴾.

وقَوله: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس٧٨]، "قَول بصيغَة الْجَمع ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصْرفنا، واللَّفت والفتْل: أَخوان ومطاوعهما الالْتفَات والإنْفتَال، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾، من عبَادة الأصْنام، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أي: الملك."[2].

يتمثل الالْتفَات هنا في انْتقَال الْخطَاب من الضَّمير في (أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) وهو مفرد إلَى المثنى في ﴿لَكُمَا﴾، والسر البلاغي هنا يتمثل في التوبيخ والإنكار، وذلك في انْتقَال الْخطَاب من المفرد إلَى المثنى. وذُكِر في فائدة هذا الالْتفات أن الكبرياء شامل لهما (عليهما السَّلاَم) وتصديق أحدهما يسْتلزم تصْديق الآخر، وأمَّا إسْناد المجيء والصَّرف فكان لموسى خاصَّة لكونه المقصود بالرِّسالة وهو المبلّغ شَرْعَ اللهِ.

"خطاب الإثنين بعْد الواحد."[3]

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ* قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس٨٨ -٨٩].

---

[1]- أنظر الكشاف، ٢٨٢٦٥.

[2]- المرجع نفسه، ١٦٣/٣.

[3]- أنظر الاتقان، ص١٤٩٩.

موضع الالْتفَات هو في قوله تعَالى: ﴿أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ مع أن الداعي هو موسى وحْده ـ على ما هو واضح ـ لكنه عدَل من المفرد إلَى المثنى ـ كمَا قَال المفسرون ــ لأن موسى كان يدعو وهارون يؤمّن، لأن قول (آمين) هو بمعْنى اسْتجب . على ماهو معْروف . وقيل : يحتمل أنْ يكون كل واحد منهما قد دعا بالدّعاء نفْسه.

"وأشَار الزمخشري إلى قراءة جُمعت فيها (الدعوة)، إذ قَال: قرئ: دعواتكما. قيل: كان موسى يدْعو وهارون يؤمن، ويجوز أنْ يكونا جميعاً يدعوان"[1].

الثاني

الالْتفَات من خطَاب الْوَاحد إلَى خطَاب الْجَمْع:

كقَوله: ﴿ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة١٧] شبه هذا بحَال المنافقين جماعة في ليلة مظْلمة، وأوْقد أحدهم نارا للإضاءة، فلما سطع لهيبها إنْطفَأت يتمثل. يظهر هنا الالْتفَات في ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ مفرد إلَى المجْمع ﴿بِنُورِهِمْ﴾. أي: فصَار أصْحابها لا يرون شيئا من الظلمة.

وقَوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة١١٢]، أي: من أخْلص لله وحْده، فله ثواب ذلك عنْد ربّه في الآخرة.

يظهر الالْتفَات من صيغَة الْفرد في ﴿أَسْلَمَ- فَلَهُۥ﴾ إلَى صيغَة الْجَمع في (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). على ما فاتهم من الدُّنيا.

---

[1]- أنظر الكشاف، ٢/ ٢٥٠.

وقوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة٤٥]، نلاحظ الالْتفَات من صيغَة الْفرد في ﴿يَحۡكُم﴾ إلَى الْجَمع في ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

وقوله: ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [يونس٣١]، من يسْتطيع خلقهما وتسْويتهما على الحَد الذي سويا عليه من الْفطرة الْعجيبة، أو منْ يحْميهما ويحْصنهما من الآفَات مع كثرتها في المدد الطّوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلائته وحفْظه."[1]

وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾ [يونس٦١]، "خطاب الْجَمع بعد الْواحد."[2]

وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [هود١٥]، أي: منْ كان يريد بما قدم الْحياة الدُّنيا ومتعها نعْطهم ما قسم لهم منْ أجْر أعْمالهم أجْرا كاملا.

نلاحظ الالْتفَات في ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ إلَى الْجمع في ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

وقوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَٔۡخِرُونَ﴾ [الحجر٥]، أي: لا تزيد أمَّة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم فتنْقص منه.

نلاحظ الالْتفَات في قَوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ إلَى المجْمع في ﴿وَمَا يَسۡتَٔۡخِرُونَ﴾

وقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل٤٨]، أي: تميل ظلالها يمينا مرَّة وشمالا أُخْرى.

---

[1]- أنظر الكشاف، ١٦٤/٣.

[2]- أنظر الاتقان، ص١٤٩٩.

ونلاحظ الالْتفَات فيقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ إِلَى الْجَمع في ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾.

وقَوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [النحل٩٧]، أي: بمَا قدم من الأعْمَال الصَّالحة وله الْجزاء في الآخرة.

نلاحظ الالْتفَات من الْفَرد في ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ إِلَى الْجَمع في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾.

وقَوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل١١٢]، ضَرب الله مثلا بمكَّة- يأتيها رزْقها هنيئا سهْلا، فجَحد أهْلها بنعم الله وأشْركوا له، فعاقبهم بالْخَوف والْجوع جزاء صنْعهم.

نلاحظ الالْتفَات في ﴿فَأَذَٰقَهَا﴾ إِلَى الْجَمع ﴿يَصْنَعُونَ﴾.

وقَوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الاسراء١٩]، أي: من أراد بعمَله الصَّالح ثواب الدَّار الآخرَة، وسعَى لها بطَاعة الله، وهو مؤمن بالله، فأوْليك كان عملهم مقْبولا، ولهم أجْر ذلك.

نلاحظ كيف الْتَفت من الْفَرد في قَوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ﴾ إِلَى الْجَمْع في قَوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم﴾.

وقوله: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه٧٥]، أي: ومن يأت ربَّه مؤمنا به، وعمل الأعْمال الصَّالحة، فله المنازل الْعليَا في جنَّات الإقامَة الدَّائمة.

نلاحظ كيف الْتَفت إِلَى صيغَة الْجَمع في قَوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ﴾ بعْدما كان بصيغَة الْفَرد في ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ﴾.

وقَوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا * خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ [طه١٠٠ -١٠١]، أي: من أعْرض عن هذا الْقرْآن، ولم يصدق به ولم يعْمل بشَرائعه ونواهيه، فله إثْما عظيما.

نلاحظ صيغة الالْتفَات إِلَى الْجَمع فِي ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بعد صيغَة الْفَرد فِي ﴿أَعۡرَضَ﴾.

وقَوله: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ [المؤمنون١٠٠]، قَوله: ﴿كَلَّآۚ﴾: "ردع عن طلب الرَّجْعة، وإنْكار واسْتبعاد، والمراد بالكلمة: الطَّائفة من الْكلاَم المنتظم بعضها ببعض."[1]

يظهر الالْتفَات من الْفَرْد فِي ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ إِلَى صيغَة الْجَمْع فِي ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾.

وقَوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ [النمل٩٠]، قوله: ﴿وَمَن جَآءَ﴾: أي: من جاء يوم الْقيامة بأعْمال سيّئة منْكرة، وهذا الْكلام بصيغة الْفرْد ثم الْعدول إِلَى صيغَة الْجَمْع فِي ﴿وُجُوهُهُمۡ﴾ أنْ يكبّهم الله على وجوههم فِي النَّار.

وقَوله: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم٤٤]، أي: من كفَر فعليْه عقوبة كفْره، ومن آمن وعمل صالحا. قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ "منهم ﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ ويعاقب هو بنفْسه."[2]

يظهر الالْتفَات إِلَى صيغَة الْجَمْع فِي ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ﴾: يهيئون منازل الْجنَّة.

وقَوله: ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾ [الروم٥٨]، قَوله: ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ " أي: آياية تدل على

---

[1]- أنظر الكشاف، ٢٤٩/٤.

[2]- أنظر السعدي، ج٢١، ص٧٥٥.

صحة ما جئت به ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾ أي: قالوا للْحق أنَّه باطل."[1]

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان٦]، لَهْو الْحديث - وهو كل ما يُلْهي عن طاعة الله ويصد عن مرْضاته- ليضلَّ النَّاس عن طريق الْهدى إلَى طريق الْهوى، ويتَّخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويخْزيهم.

نلاحظ الالْتفَات من الْفَرد في: ﴿يَشۡتَرِي﴾ إلى الْجمْع في : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ﴾

وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس٢١]، ٱتَّبِعُواْ الذين لا يطْلبون منكم أمْوَالا على إبلاغ الرِّسالة، وهم مهْتدون فيما يدْعونكم إليْه من عبادة الله وحْده.

موضع الالْتفَات من الْفَرد في ﴿يَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ إلَى الْجمْع في ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾

وقَوله: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزمر٣٣]، والذي جاء بالصِّدق في قوْله وعمله من الأنْبياء وأتباعهم، وصدَّق به إيمانًا وعملا أولئك هم الذين جمعوا خصال التَّقوى.

موضع الالْتفَات من الْفَرد في ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ﴾ إلَى الْجَمْع في ﴿هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [غافر٤٠]، أي: مَن أطاع الله وعمل صالحًا بامْتثال أوامره واجْتناب نواهيه، ذكرًا كان أو أنثى، وهو مؤمن بالله موحد له، فأولئك يدْخلون الْجنَّة.

موضع الالْتفَات من المفْرد في﴿وَمَنۡ عَمِلَ﴾ إلَى الجَمْع في ﴿يَدۡخُلُونَ﴾.

[1]- أنظر السعدي، ج٢١، ص٧٥٨.

وقَوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى٤١]، قَوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ " أي: انْتصر ممن ظلَمه بعْد وقوع الظّلم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: لا حَرج عليهم في ذلك."[1]

موضع الالْتفَات من الْفَرد في ﴿ٱنتَصَرَ﴾ إلَى الْجَمْع في ﴿عَلَيۡهِم﴾.

وقَوله: ﴿إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ [الشورى٤٨] وإنَّا إذا أعطيْنا الإنْسَان مِنَّا رحْمة مِن غنى وسَعَة في المال وغير ذلك، فَرِح وسُرَّ، وإنْ تصبْهم مصيبة مِن فقْر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدَّمته أيْديهم من معَاصي الله.

موضع الالْتفَات من الْفَرد إلَى الْجَمْع في ﴿تُصِبۡهُمۡ﴾.

وقوله: ﴿قُلۡ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف٢٤] قال محمَّدﷺ ومَن سبقَه من الرُّسل لمن عارضه بهذه الشُّبهة الْباطلة: أتتَّبعون آباءكم، ولو جئْتكم مِن عنْد ربكم بأهْدى إلى طريق الْحق وأدلَّ على سبيل الرَّشاد مما وجدتم عليْه آباءكم من الدّين والملَّة؟ قَالوا في عناد: إنَّا بما أرسلْتم به جاحدون كافرون.

موضع الالتفَات من الْفَرد في ﴿جِئۡتُكُم﴾ الى الجَمْع في ﴿أُرۡسِلۡتُم﴾.

وقوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ * وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ﴾ [الزخرف٣٦-٣٧] ومن يُعْرِض عن ذكر ٱلرَّحمن، وهو الْقرْآن، فلم يَخَفْ عقابه، ولم يهتد بهدايته، نجْعل له شيطانًا في الدُّنيا يغْويه؛ جزاء له على إعْراضه عن ذكْر الله، فهو له

[1]- أنظر السعدي، ج٢٥، ص٨٩٦.

ملازم ومصاحب يمْنعه الْحلال، ويبْعثه على الْحرام. وإنَّ الشَّياطين ليصدون عن سبيل الْحق هؤلاء الذين يعْرضون عن ذكر الله.

موضع الالْتفَات في الآيَة في ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ إلَى الْجَمْع في ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾.

وقَوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان٤٩-٥٠]، يقَال لهذا الأثيم الشَّقيّ: ذق هذا الْعذاب الذي تعذَّب به اليوم، إنَّك أنتَ الْعزيز في قومك، الْكريم عليهم. وفي هذا تهكّم به وتوبيخ له.

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ أي: إنَّ هذا الْعذَاب الذي تعذَّبون به الْيوم هو الْعذاب الذي كنتم تشكُّون فيه في الدُّنيَا، ولا توقنون به.

موضع الالْتفَات إلَى الْجَمْع في ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾.

وقَوله: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ [الاحقاف١٥-١٦]، أي: إنّي تبْت إليك من ذنوبي، وإنّي من الْخاضعين لك بالطَّاعة والمسْتسْلمين لأمْرك ونهْيك، المنْقادين لحُكْمك. أولئك الذين نتقبَّل منهم أحْسَن ما عملُوا من صالحَات الأعْمَال، ونصْفح عن سيّئاتهم.

يلْتفت إلَى صيغَة الْجَمْع في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾.

وقَوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [محمد١٣]، وكثير من أهْل قرى كانوا أشد بأسًا من أهْل قريتك -أيُّها الرَّسول، وهي "مكَّة"- التي أخْرجتك، دمَّرناهم بأنْواع من الْعذاب.

وقَوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد١٤]، أفَمن كان على برهان واضح من ربّه والعلْم بوحْدانيته، كَمن حسَّن له الشَّيْطان قبيح عمله، واتبع ما

دعته إليه نفْسه من معْصية الله وعبادة غيْره مِن غيْر حجَّة ولا برهان؟

موضع الالْتفَات بعد الْفَرد إلى الْجَمْع في قَوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾.

وقَوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد١٥]، كمَن هو ماكث في النَّار لا يخْرج منْها، وسُقوا ماء تناهى في شدَّة حرّه فقَطَّع أمْعَاءهم؟

موضع الالْتفَات من الْفَرد إلَى صيغَة الجَمع في قَوله: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

وقَوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات١١]، أي: ومنْ لَّمْ يتب من هذه السُّخرية واللَّمز والتَّنابز والْفسوق فأولئك هم الذين ظلموا أنْفسهم بارْتكاب هذه الْمناهي. "فالنَّاس قسْمان: ظالم لنفْسه غير تائب، وتائب مفْلح ولا ثمَّ قسْم ثالث غيرهما."[1]

موضع الالْتفَات إلَى صيغَة الْجَمْع في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقَوله: ﴿وَمَآ أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ [ق٢٩-٣٠]،

موضع الالْتفَات إلَى صيغَة الْجَمع في قَوله: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾

وقَوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم٢٩-٣٠]، أي: توَلَّى عن (الذكر) وهو الْقرْآن، ولم يرد إلاَّ الدُّنيَا، ذلك منْتهى علْمهم.

يظهر الالْتفَات إلَى صيغَة الْجَمْع في قَوله: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [القمر١٨-١٩]، كذَّبت عاد فعاقبْناهم، فأَرْسلْنا عليهم ريحاشديدة الْبرد.

---

[1]- أنظر السعدي، ج٢٧، ص٩٤٥.

يظهر الالْتفَات من الْفَرد في قَوله: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾ إِلَى الجَمْع في قَوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾.

وقَوله: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ [القمر٢١-٢٢]، فكيف كان عذابي لمن كفر بي، ولقد سهَّلنا الْقرْآن للتّلاوة.

يظهر الإلْتفَات من الْفَرد ﴿كَانَ عَذَابِي﴾ إِلَى الْجَمْع ﴿يَسَّرۡنَا﴾

وقَوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون٩]، ومن تشْغله أَمْواله وأَولاده عن عبادة الله وطاعته، فهم المغْبونون من حفْظ الله.

يظهر الالْتفَات من الْفَرد إِلَى الْجَمْع في قَوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

وقَوله تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق١]، الانتقَال هنَا في الْخطَاب من المفرد وهو ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ إِلَى الْجَمع وهو ﴿طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ والسّر الْبَلاغي هنا للتَّعظيم وذلك لاشْتمال الْخطاب للنَّبي ولأُمَّته من بعْده.

"خطَاب الْجَمْع بعْد الْوَاحد"[1]

وقَوله: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المعارج٣١]، أي: فمن طلَب لقضاء شهوته من غير زوجَاته والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون من الْحلاَل إِلَى الْحَرام.

يظهر الالْتفَات من الْفَرد إِلَى الْجَمْع في قَوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾.

[1]- أنظر الاتقان، ١٤٩٩.

وقَوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج٤٠]، أَقْسَم سبحَانه وتعَالى بنفْسه وهو رب المشارق والمغارب، إنَّا لقادرون.

يظهر الالْتفَات إلَى الْجَمْع في قَوله: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾.

وقَوله: ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾ [الجن١٤]، أي: فمن أسْلم وخضَع لطاعَة الله فأولئك قصَدوا طريق الْحق.

يظهر الالْتفَات من الْفَرد في: ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ﴾ إلَى الْجَمْع في قَوله: ﴿تَحَرَّوۡاْ﴾.

وقَوله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الجن٢٣]، أي: ومن يعْص الله ورسوله ويعْرض عن دينه، فإنَّ جزاءه جَهنَّمَ خالدين فيها.

يظهر الالْتفَات من الْفَرد في ﴿يَعۡصِ﴾ إلَى الجَمْع في ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

وقَوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ * أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة١-٣]،

الثالث

الالْتفَات منَ خطَاب الاثْنين إلَى خطَاب الْوَاحد:

كقَوله تعَالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه٤٩]، يظهر الالْتفَات من المثنى في ﴿رَّبُّكُمَا﴾ إلَى الْفَرد في ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾

وقَوله تعَالى: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه ١١٧]، انتقَل الخطَاب في الآيتيْن هنا من خطَاب الإثْنين إلَى خطَاب الْواحد في قَوله تعَالى: ﴿يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ إلَى المفرد وهو: ﴿فَتَشۡقَىٰٓ﴾ الالْتفَات يتمثل في الْخطَاب إلَى موسى وأخيه.

وقَوله: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء١٦]. "وحد الخبر في (رسول)، ولم يثن كما في الآيَة السَّابقة، لأنَّه مصدر بمعنى

الرِّسَالة، أو يكون على تقدير: أن كل واحد منَّا رسول، لكونهما ذوي شريعة واحدة، أو أنَّه اكتفى بأحدهما، أوْ بالأصْل، لأنَّ موسى عليه السَّلام هو الأصْل في هذه الرِّسَالة، وقد يراد بالرَّسول الْجماعة."[1].

نلاحظ كيف يظهر الالْتفَات من المثنَى ﴿إِنَّا﴾ إلَى الْواحد في ﴿رَسُولُ﴾.

الرابع

الالْتفَات من خطَاب الاثْنين إلَى الجَمْع:

كقَوله تعَالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس٨٧]، قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾ "حين اشتد الأَمْر على قوْمهما من فرعون وقوْمه، وحرصوا على فتْنهم عنْ دينهم. وقَوله: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي إجْعَلوها محَلا تصلون فيها، حيث عجزتم عنْ إقَامة الصّلاَة في الكنائس، والْبيع العَامَّة."[2]

الالْتفَات يتمثَّل في الْخطَاب إلَى موسى وأخيه بأنْ ي﴿تَبَوَّءَا﴾ وهمَا مثنَى إلَى الْجَمْع وهو ﴿وَٱجْعَلُواْ﴾.

"خطَاب الإثْنين بلفْظ الْجَمْع كقوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾."[3]

---

[1]- محمد عبدالناصر: (الرقم الجامعي ١٤٢٤٧..٣١) اشراف مصباح احمد نصر، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة والنحو والصرف، عنوان الرسالة، التذكير والتانيث في القرآن الكريم، (دراسة تطبيقية) المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية- قسم الدراسات العليا، فرع اللغة.

[2]- أنظر السعدي، ج١١، ص٤٢٧.

[3]- أنظر الاتقان، ص١٤٩٨.

والسّر البَلاغي هنا يتمثَّل في حكمة التَّثْنية كما يرى الزركشي وهو. أنَّ موسى وهارون هما اللَّذان يقرّران قواعد النُّبوَّة، ويحْكمان في الشَّريعة، فخصَّهما بذلك.

وقَوله تعَالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج١٩]، الالْتفَات من صيغَة المثنى في ﴿خَصۡمَانِ﴾ إلَى الْجَمْع في ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾.

وقوله: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء١٥]، يظهر الالْتفَات من الإثْنين في قَوله: ﴿فَٱذۡهَبَا﴾ إلَى صيغَة الْجَمْع في قَوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾. "مجَاز معْنَاه: إنَّا معكم نسْتَمع مَا يجْري بينَكم وبيْنه وأنا النَّاصر لكمَا عليه، فالاسْتمَاع قرينَة للكلاَم المجَازي لأنَّ من سمع محاورة خصْمين كان مسْتطيعا الْحكم بينهمَا ومشايعة أيّهما رآه أقْرَب إلَى الْحق وأدْنى من الصَّواب، فإذَا اعْترضَ معْترض بأنَّ الله تعالى مسْتمع حقيقة وسامع ولا يجوز إجْراء المجاز عليْه تعالى." [1]

وقَوله تعَالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة١٨]، نلاحظ الالْتفَات من صيغَة المثنَى في ﴿كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ﴾ إلَى الْجَمْع في ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾.

الخامس

الالْتفَات من خطَاب الجَمْع إلَى الْوَاحد:

كقَوله تعَالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾، [البقرة٣٨]. خطاب الْجَمْع في قَوله: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ ثم الْتَفت إلَى الْواحد في قَوله: ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي﴾،

[1]- أنظر محي الدين الدرويش، ج٧، ص٦٠.

قال في الآية ﴿مِّنِّي﴾ ولم يقلْ (منَّا) كما كان يقْتضي السياق هنا، وذلك لسر بلاغي يتمثَّل في المناسبة للواقع؛ لأنَّ الهدى لا يكون إلاَّ من الله.

وقَوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة٤١]، المخاطب بني إسرائيل- آمنوا بالْقرْآن المنزل على آخر الأَنبياء. " أَي: لا تسارعوا إِلَى الْكفر به."[1]

يظهر الالْتفَات في ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ﴾، بصيغَة الْجَمْع أَي: (بني اسرائيل) إِلَى الفَرد في (أَوَّلَ كَافِرٍۭ) أي: أَول فريق من بني إِسْرائيل يكْفر به.

وقَوله تعَالَى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء٦٩]، وحسن هؤلاء رفقَاء في الْجنَّة وهم الشهدَاء والصدِّيقين.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة الجَمع في قَوله تعَالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إِلَى الفَرد في قَوله: ﴿رَفِيقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأَعراف١٨٢-١٨٣]، أَي: إِسْتدراجا للذين كذبوا بآياتنَا، وجحَدواها، حتى يغتروا بها ثم نعاقبهم على غرة، وهذه عقوبة التَّكذيب والْجحود.

ويظهر الالْتفَات من صيغَة الْجَمْع في: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَى الْواحد في قَوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

وقَوله تعَالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةًۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [النحل٦٦]، يظهر الالْتفَات من صيغَة الْجَمْع في قَوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾ إِلَى الْواحد في قَوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾

وقَوله تعَالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ [الانبياء٨]، أي: وما جعلْنَا هؤلاء الرُّسل خارجين عن خلْق الْبشر.

---

[1]- انظر المجاز، ص٣.

يظهر الالْتفَات من الْجَمع في قَوله: ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾ إِلَى الْفَرد في قَوله: ﴿جَسَدًا﴾.

وقَوله تعَالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج٥]، تتحدث الآيَة عن مراحل خلْق الإنْسان. "ومن مجاز ما جَاء لفْظه لفْظ الْواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الْواحد غللا الْجميع، قَال: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، في موضع (أطفالا)."[1]

يظهر الالْتفَات من الْجَمْع في ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ إِلَى الْفَرد في ﴿طِفْلًا﴾.

وقَوله تعَالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان٧٤]، أي: واجعلْنا قدوة يقْتدي بنا المتَّقون في الْخير.

يظهر الالْتفَات من الْجَمْع في ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ إِلَى الْفَرد في ﴿إِمَامًا﴾.

وقَوله تعَالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة١٣]، أي: ولو شئْنَا لَأتينا هؤلاء المشْركين بالله توفيقهم للإيمان، ولكن وجب الْقول مني.

يظهر الالْتفَات إِلَى صيغَة الْفَرد في ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾.

وقَوله تعَالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم٤]، أي: الملائكة نصرة الله أعوان ونصراء للنَّبيﷺ على من يؤذيه. "ومن مجاز مَا جاء من لفْظ خبر الْجميع على لفْظ الْواحد، قال: ﴿وَالمَلاَئكَةُ بَعدَ ذِلكَ ظَهِيرٌ﴾ في موضع: ظُهَراءُ."[2]

يظهر الالْتفَات من الْجَمْع إِلَى الْفَرد في ﴿ظَهِيرٌ﴾.

السادس

---

[1]- أنظر المجاز، ج١، ص٦١.

[2]- المرجع نفسه، ٢٦٥/٢.

الالْتفَات من خطَاب الجَمْع إلَى التثْنية:

كقَوله تعَالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ﴾ [ص٢٢]، المخاطب الرَّسول الْكريم- هلْ جائك أيُّها الرَّسول خبر المتخاصمَين اللذين دخَلا على داوود في مكان عبَادته فارْتاع من دخولهما عليه قالوا له: لا تخف نحْن خصْمان.

يظهر الالْتفَات في ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾ صيغَة الْجَمْع إلَى التثْنية في (خَصْمَانِ).

قَوله تعَالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [الرحمن٣٣-٣٤]، أي يا مَعْشر الانْس والجن إنْ قدَرْتم (والقدْرَة لله السَّميع العَليم) على النَّفَاذ منْ أمْر الله والْهروب من أطْراف السَّمَاوات والأرض فافْعَلوا، ولنْ تفْعَلوا ذلك إلا بحجَّة وبأمْر منَ الله،فبأي النّعم تكذّبان؟

إنْتقَل الْخطَاب هنا من الْجَمْع إلَى التَّثْنية في قَوله: ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ولم يقل: (تكذّبون) والسّر البَلاغي في الآيَة يتمثَّل في التعْجيز.

تلكم هي أبْرز أسَاليب بلاغة الالْتفَات عند الْجمْهور، ومَا خرجَ عنْها عندهم فيدخل في مصْطلحَات بلاغيَّة أُخْرى " كالخروج عنْ مقْتضَى الظَّاهر وأسْلوب الْحكيم، وكذلك التَّجْريد، إلىَ غيْر ذلك من الأسَاليب والأسْرَار البلاغيَّة.

أضف إلَى ذلك فإن ابن الأثير قد توسَّع في أسَاليب الالْتفَات حيث عدَّها كثيرة لا تحد بحد، ولا تضْبط بضَابط، ولكن يشَار إلَى مواضع منها ليقاس عليها غيرُها.

السابع

بنَاء الفعْل للمفْعول بعْدَ خطَاب فَاعله أوْ تكلمه.

هنا يكون الْتفَاتا عنه كقَوله تعَالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة٧] بعْد ﴿أَنْعَمْتَ﴾، فإن المعنَى: (غير الذين غضَب عليهم). "ذكره التنوخي في (الأقْصى الْقريب) والخفاجي، وابن الأثير وغيْرهم."[1]

وضع التَّكلم موضع الخطَاب كقَوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس٢٢] ، مكَان (ومَالكم لا تعْبدون الذي فطَركم).

قَوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ [البقرة١٧٧] ثم قَال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة١٧٧] قَوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء١٦٢].

[1]- أنظر البرهان، ٣٩٠/٥.

الفصل الثالث: أَقْسَام أُخْرَى للإلْتفَات

المبحث الأَول: (المشْهد، الشخْصيات، الحدث، الزمن، الجنْس، العاقل وغيْر العاقل، النصّب، (الحذْف والاثْبات)

كتَب احمد بسَّام ساعي في كتَابه (المعْجزة)، وسمَّى الالْتفَات بالفَن الْقرْآني الْجديد، قَال: "ربَّما أدْخلوا فيه الإنْتقَال من .."[1] وقسَّم هذا إلَى عدَّة أقْسَام وهي: الْتفَات المشْهد، الْتفَات الشَّخْصيات، الْتفَات الحدَث، الْتفَات الزَّمن، الْتفَات الجنس، التفَات العاقل وغيْر العاقل، الْتفَات النَّصْب، الْتفات (الحذْف والإثْبَات).

الأ ول

إلتفَات المشْهد

"ومن الالْتفَات القرْآني ما يمْكن أنْ نطْلق علَيْه (الْتفات المشْهد)."[2] يعْني بذلك أنَّ الالْتفَات يكون من مشْهد لآخَر دون سابق إنْذار، ودون إشارة تمهد لهذا الإنْتقَال. كقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ *أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ * إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة ١٥٦-١٥٩]، من صفَة هؤلاء الصَّابرين عندما يصيبهم شيء مكْروه قالوا: نحْن لله وعبيده، فله نرْجع بالمَوْت آجلا

---

[1] - احمد بسَّام ساعي: المعجزة اعادة قراءة الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مكتب التَّوزيع في العالم العربي، بيروت لبنان، ط١(١٤٣٣هـ-٢٠١٢م). ص٢٥٩.

[2] - أنظر المعجزة، ص٢٦٨.

أم عاجلا، ثم نبْعث ونحاسب، فلهم ثناء من ربهم ورحْمة عظيمة منه تعالى، وأولئك هم المهْتدون الى طريق الْحق والرَّشاد. وهذا هو المشهد الأول، "فقد إنْتقل بنا المشهد هنا من وصْف مواجهة المؤمنين لمصائبهم.. إلى وصْف شعائر الطَّواف في الحج."[1] ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾: "واحدتها شعيرة، وهي في هذا الموضع: ما أشْعر لموقف أو مشْعر أو منْحر أي أعلم لذلك."[2]

حيث يصف لنا بعد هذا الإنْتقال أو الالْتفَات –الصَّفَا والمروة- همَا جبلان قرْب الْكعبَة من جهة الشَّرق – وهمَا من معالم دين الله، والتي تتم الْعبادة فيهما بالسَّعي بينهما.

الالْتفَات في الآيَة الموالية إلَى الذين يكْتمون ما أنْزل الله من آيات واضحَات، على محمَّدﷺ ومَا جاء به، وهم الأحْبَار (أحْبَار وعلمَاء اليهود والنَّصارى) يكتمون ما أظْهرناه في التَّوْراة والإنْجيل، فأولئك مطْرودون من رحْمة الله وملْعونون.

قَوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ *هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ*خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحاقة ٢٨-٣٢]، مانفعني مالي الذي جمعْته في الدُّنيا، ذهبت عني حجَّتي، يتوقَّف هنا الْحديث ونسمع الأمْر الآلهي يلْتفت بكلامه الجبَّار إلى ﴿خُذُوهُ﴾. أي خذوا هذا الآثم، فاجْمعوا يديه إلَى عنقه بالأغْلال ثم أدْخلوه الْجحيم.

الثاني
إلْتفَات الشخْصيات

---

[1]- أنظر المعجزة، ص٢٦٨.

[2]- أنظر المجاز، ١١٤/١.

وهنَاك نوْع آخر سمي بالْتفات الشَّخْصيات. "وفيه ينْتقل الحديث فجْأة من شخْص إلى آخر دون إنْذار، إنْتقَالا تتداخَل معه الشَّخْصيتان فلا نكاد نتبيَّن من منْهما المتكلم."[1]

كقَوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف٥١ -٥٣]، أي قَالت امرَأة العَزيز: الآن ظهَر الْحق بعْد خفائه، فأنا التي حَاولْت فتْنته بإغْرائه فامْتنَع، وإنَّه لمن الصَّادقين في كل ما قاله. ذلك الْقَول الذي قلْته في تنْزيهه والإقْرار على نفْسي ليعلَم زوْجي أني لم أخنْه بالْكذب عليه، ولم تقع مني الْفاحشة، وأنَّني راودته، واعترفْت بذلك لإظْهار براءتي وبراءته، وأن الله لا يوفق أهْل الْخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم. قالت امْرأة الْعزيز: وما أزكي نفْسي ولا أبرئها، إنَّ النَّفس لكثيرة الأمْر لصَاحبها بعمَل الْمعاصي طلبا لملذَّاتها، إلاَّ مَن عصمه الله. إنَّ الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم.

"فقد تنقَّل الحديث في الآيات الثَّلاث بين امْرأة العزيز وسيّدنا يوسف على نحو تداخلت معه شخصيَّاتهما. إنَّ من الواضح لنا أنَّ المتحدث في الآية الأولى هو امرأة العزيز، ولكن من الصَّعب أنْ نقطَع بحقيقة المتحدث في الآية الثَّانية، وربما الثَّالثة أيضا: أهو يوسف أم هو امْرأة العزيز؟"[2]

الثالث

---

[1]- أنظر المعجزة، ص٢٦٩.

[2]- المرجع نفسه، ص٢٧٠.

إلْتفَات الحَدث

من هنَا ينْتقل من حدَث الَى آخَر ويسمَّى الْتفَات الحَدث. "تخلَّل الحدثين بحيث يفهم هذا الْحَدث المخْتفي من خلاَل سياق الآيات."[1]

كقَوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ﴾ [البقرة٦٠]، نلاحظ تعدد الأحدَاث في هذه الآيَة منها الْحَدث الأوَّل أمر سبحَانه وتعَالى موسى بضرْب الْحجَر بعصَاه، الثَّاني تنْفيذ موسى للأمر الإلهي، انْفجَار الْعيون الإثنتي عشرَة منْه. قَوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ﴾ روي أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينْبع من كل وجْه منه ثلاث أعْين يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألْف وسعة المعسكر إثني عشر ميلا."[2]

الرابع

إلْتفَات الزمَن

سمَّاه احمد بسَّام ب "تداخل الأزْمان، فيتوحَّد الماضي والحاضر والمستقبل في زمن واحد. إنَّها الأبْعاد الإلهية الْخاصَّة للزَّمان والمكان، وهي لا تدخل تحْت تعْريفاتنا الْبشريَّة الْقاصرة، فإذا كانت السَّنة عند الله كألْف سنة أوْ كخمْسين سنة في حسَاباتنا الْبشريَّة، فكيف تكون حسابات الزَّمن إذن في المقيَاس الآلهي."[3]

كقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج٤٧]، "من طوله، وشدَّته، وهوله."[4] وكثيرا ما تتنقَّل الْعبارات

---

[1]- أنظر المعجزة، ص٢٧٠.

[2]- أنظر المجاز، ص٣.

[3]- أنظر المعجزة، ص٢٧٠.

[4]- أنظر السعدي، ص٦٣٢.

القرآنيَّة بين الأزْمَان الْبشريَّة التي رسمْناها في أذْهاننا، وتتحرَّر من قيودنا، وتخْرج من أبْعَادنا المحدودة والْنتأمَّل هذه الآيَات.

وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج٤]، "أيْن تنْتهي عنْده تعَالى اذن حدود الزَّمن الماضي لتبدَأ حدود الزَّمن المستقبل، وهل الماضي هو ماض، والْحاضر هو حاضر، كما هي في مفْهوماتنا البشرية."[1]

الخامس

إلْتفات الجنْس (التَّذْكير والتَّأْنيث)

"إن أهميَّة موضوع التَّذكير والتَّأنيث تكمن في أنَّه يعد من الموضوعات اللُّغويَّة التَّاريخيَّة التي تشير إلى أنَّ الْعربية الْقديمة قد مرَّت بمرْحلة تاريخيَّة لم يكن الْجنْس فيها واضحا تمام الْوضوح بقسْميه المذكَّر والمؤنَّث."[2]

ولكن عنْدَ نزول الْقرْآن الكَريم نجد فيه أشْكَالا أكْثر تطوُّرا، ومن أشد هذه الأشْكَال بروزا ولفتا للنَّظر التَّذكير حيث نتوقع التَّأنيث، والتَّأنيث حيْث نتوقَّع التَّذْكير.

كقَوله تعَالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الانعام١٦٠]، فأنث (عَشْرُ) حيث جرد من الْهاء مع إضافة إلَى الأمْثال، ووحدها مذكر."[3]

---

[1]- أنظر المعجزة، ص٢٧١.

[2]- دلدار غفور حمد: تفسير الكشَّاف للزَّمخشري، دار دجلة المملكة الأردنيَّة الهاشمية، ط١ (٢٠٠٧)، ص١٧٢.

[3]- أنظر البرهان، ٤٢٥/٣.

وقَوله تعَالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف٥٦]، ذكر ﴿قَرِيبٌ﴾ "على تأويل الرَّحمة بالرَّحم أو التَّرحم، أو لأنَّه صفة موْصوف محْذوف، أوْ لأنَّ تأنيث الرَّحْمَة غير حقيقي."[1]

يظهر الالْتفَات في ﴿رَحْمَتَ﴾ إلَى ﴿قَرِيبٌ﴾. فإنْ قيل: لِمَ سوَّى بين المذكَّر والمؤنَّث في الفعيل بمعنى المفْعول؟ قلنا: لأنَّ الْحاجة إلى التَّمييز بين الْفاعل والمفعول أشد من الْحاجة إلى التَّمييز بين المفعول المذكَّر والمفعول المؤنَّث نظراً إلَى المعنى ونظراً إلَى اللَّفظ. فأمَّا المعنى فظاهر، وأمَّا اللَّفظ فلأنَّ المْخالفة بيْن الفَاعل والمفْعُول في الوزن والحرف أشد من المخالفة بين المفعول والمفعول له ... والتَّحْقيق فيه: أنَّ فعيلاً وضع لمعنى لفظي، والمفْعول وضع لمعنىً حقيقي، فكأنّ القائل قال: استعْملوا لفْظ المفْعول للمعْنى الفلاني واسْتعْملوا لفْظ الْفعيل مكان لفْظ المفْعول، فصار فعيل كالْموضوع للمفْعول، والمفعول كالمْوضوع للمعْنى.

وقيل: ﴿قَرِيبٌ﴾. "على وزْن (فعيل) و (فعيل) يسْتوي فيها المذكر والمؤنث حقيقيا كان اوْ غير حقيقي."[2]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون١١]. فانث (ٱلْفِرْدَوْسَ)، وهو مذكر، حملا على معنى الْجنَّة."[3]

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ [الفرقان٤٨- ٤٩].

---

[1]- أنظر الكشاف، ٤٥١/٢.

[2]- أنظر البرهان، ٤٢١/٣.

[3]- المرجع نفسه، ٤٢٥/٣.

موضع الالْتفَات في قَوله تعَالى: ﴿مَيْتاً﴾ بلفْظ المذكَّر، وكان المتوقع أنْ يقال: ميْتة، لانَّه صفة للبلْدة ولكنَّه عدل إلَى التَّذْكير لأنَّه أراد المكان أو الموْضع أوْ أنَّ المعْنى هو الْبَلد.

وقال الزمخشري: وإنَّما قال: ﴿مَيْتاً﴾ لأنَّ البلْدة في معْنى البلد في قَوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ [فاطر ٩]. وانَّه غيْر جار على الْفعل[١].

السادس

إلْتفَات العَاقل وغيْر العَاقل

"إنَّ الْحدود اللُّغويَّة المطْلوبة في التَّعْبير الْبشري يمْكن أنْ تخْتفي بين العاقل وغير العاقل."[٢]

"بأنْ يتقدَّم لفْظ يعم من يعْقل ومن لا يعْقل فيطلق اللَّفْظ المختص بالْعاقل على الْجميع."[٣]

كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي﴾ [هود٤٤]، "نداء الأرض والسَّماء بما يُنادَى به الْحيوان المميز على لفْظ التَّخْصيص والاقْبال عليهما بالْخطاب من بين سائر المخْلوقات وهو قوله: ﴿يَٰٓأَرْضُ﴾، و ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾، ثم أمرهما بما يؤْمر به أهْل التميز والْعقل من قوله: ﴿ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾، ﴿أَقْلِعِي﴾."[٤] يفيد الالْتفَات الْقدْرة الْعظيمَة للْخَالق سبحَانه وتعَالى.

---

[١]- أنظر الكشاف، ٩٥/٣.

[٢]- أنظر المعجزة، ص٢٧٧.

[٣]- انظر البرهان، ٣٧٢/٣.

[٤]- أنظر الكشاف، ٢٠٢/٣.

وقَوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل٦٨]، "الإيحَاء إِلَى النَّحل: إِلْهامها والْقذف في قلوبها وتعْليمها على وجْه هو أعْلم به، لا سَبيل لأحد الْوقوف عليه."[1]

وقَوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور٤٥] "لما تقدم لفظ الدَّابة، والْمراد بها عموم من يعْقل ومن لا يعْقل غلب من يعْقل، فقال: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي﴾، فإنْ قيل هذا صحيح ﴿فَمِنْهُم﴾ لأنَّه لمنْ يعْقل، وهو راجع إِلَى الْجَميع، فلم قَال: (من) وهو لا يقع على الْعَام، بلْ خَاص بالْعاقل."[2]

وقَوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النمل١٨]، جعل خطاب النَّمْل كخطَاب الْعقَلاء لفهْمها لذلك الْخطَاب،

وقَوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الاحزاب٧٢]

المبحث الثاني/ موَاقع الالْتفَات في سورَة البقَرة

أسْلوب (الإلْتفات) فى خطَاب الْقرْآن الْكَريم فى سورَة الْبقَرة: سورة الْبقَرة مدنيَّة، وهي خَمْسَة وعشْرونَ ألْفا وخَمْسمائَة حَرْف، وستَّة ألاف ومائة وعشْرون كلمَة، مائتَان وست وثمَانون آية وموضوعَاتها الأَسَاس: الْحوار مَع بنى اسْرائيل، والتَّشْريع، وفيهمَا أسْلوب الالْتفات.

أولا: الْحوار مع بنى إسْرائيل:

---

[1]- أنظر الكشاف، ٣/٤٥٠.

[2]- أنظر البرهان، ٣/٣٧٢.

قَال تعَالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ١-٢]

تَبْدأ السورة بحَديث عن الْكتَاب الذى لاَ ريْبَ وهَذا الْكلاَم ﴿لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ﴾ في حد ذاته معْجزة من معْجزَات الْقرْآن الْكريم ثم قَال: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ يَنْفع به المتَّقون بالْعلْم النَّافع والْعمَل الصَّالح، وهم الذين يخَافون الله، ويتَّبعون أحْكَامه، ثم وصَف منْ هم المتَّقون فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ وبعدَها وصَف الْكَافرين والمنافقين، وخلق آدم ونزوله الأرض مع زوجه، قَال تعَالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾ [٣٨]، بعْدهَا يتوجَّه الْخطَاب مبَاشرة إلى بنى إسْرائيل، قَال تعَالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ﴾ [٤٠]، لتذكير بنى إسْرائيل فى عهد النَّبى عليه السَّلاَم فى المدينة فى إطَار حوار معَهم يدْعوهم إلى الإيمان بالْقرْآن الذى نزَل مصدّقا لما معهم من كتاب، ولأنَّهم كَانوا يتوقَّعون نزوله على خَاتم النَّبيين، لذا اسْتقروا فى يثْرب إنتظَار لهجْرة النَّبى الْخَاتم، وكانوا يسْتفتحون بهَذا على سكَّان يثْرب من الأوس والخزرج، فَلمَّا آمَن الأوس والْخزرج وصَاروا الأنْصَار كَفر معْظم بنى إسْرائيل وقبَائلهم بنو النَّضير وبنو قيْنقاع وبنو قريْظَة . وهَذا الْحوار الذى جَاء فى سورة الْبقَرة وغيرها يعْكس نَوْعا من الْحَرْب الْفكْرية، كَانوا هم فيه يواجهون المسْلمين بالتَّشْكيك والإفْتراء، بينمَا ينزل الْقرآن يرد عليهم ويعْتبرهم إمتدَادا لكفرة بنى إسْرائيل الذين عَبدوا الْعجْل والذين كانوا يقْتلون الأنْبيَاء. كَان هذَا الْحوَار معهم أيضا لتوعية المؤمنين، أي: كَان الْخطَاب عنْ بنى إسْرائيل بالْغَائب أو بالمخاطب، ثم يَأتى الالْتفات للمؤْمنين بالاسْتفَادَة ممَّا سبَق.

وقَوله تعَالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾ ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: "هو يعقوب- عليه السَّلام- لقب له، ومعْنَاه في لسَانهم: صفْوة الله، وقيل: عبدالله."[1] وهذا خطاب مباشر لبنى إسْرائيل، ثم الْتفَات إلى المتكلم سبحَانه وتعَالى: ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤١-٤٣]، ومنه أيضا قَوله تعَالى لهم، بالمتكلم فى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ * وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [٤٩-٥٣]، ويسْتمر الْخطَاب لهم إلى قَوله سبحَانه وتعَالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٧٤]، بعْدها يَقول سبحَانه وتعَالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ مخاطبا المؤْمنين محذرا لهم فى الْتفَات من مخاطب إلى مخاطب آخَر. أي: بَعْد مَا سَبق كَيف تطْمعون أنْ يثقوا بكم. ثم يَأتى الْتفَات إلى الغائب، وهم بنو إسْرائيل

[1]- أنظر الكشاف، ٢٥٧/١.

وقت نزول هذَا الوحْى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٧٥].

قوله تعَالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [٨٣]، (تَعْبُدُونَ)، أسْلوب الْغيبة هنا فيه نعي على بني اسرائيل وتبْكيت وترقيع."[1]

ثانيا : التَّشْريع:

فيه الالْتفَات من المخاطب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى الغَائب والْعَكس. كقَوله تعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ البداية بالمخاطب، ثم الالْتفَات المركب الى الْغَائب مَع إشَارة للْمخاطب فى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾ ثم الْغائب فى﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، ونَفس الْحَال فى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦٩]،

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا﴾ الْبدَاية بالمخاطب ثم الْتفَات مركَّب إلى المتكلم وهوَ رب العزَّة الواحد الأَحد مع إشَارة إلَى المخاطب فى ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم المخَاطب وهم المؤمنون مَع حَديث عنه سبحَانه: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [١٧٢]، ثم حَديث عنه سبحَانه مَع إشَارة للمخاطب أي: المؤمنون فى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ ثم

[1]- م.م. احمد عامر سلطان الدليمي و م.م، ميثم محمد نوري: اداب الرافدين، فن الالتفات في القراءات السبع سورة البقرة انموذجا، تاريخ التقديم/٠٣/٠٩/٢٠٠٨، ص٤.

الْغائب فى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ثم حَديث عن رب الْعزَّة جَلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٧٣]،

وقَوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾، البدَاية بالمخَاطب الذين امَنوا- ثم الْتفَات إِلَى الْغَائب ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ ثم الْتفَات إِلَى المخَاطب: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ثم إِلَى الْغائب: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٧٨]، ثم إِلَى المخَاطب: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٧٩]،

وقَوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ الْبداية بالمخاطب ثم الْتفَات إِلَى الْغَائب: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٨٠-١٨٢]،

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [١٨٣-١٨٤]،البدَاية بالمخَاطب الذين آمَنوا ثم الْتفَات إِلَى الْغَائب فى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ ثم الْتفَات إِلَى المخَاطب فى ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [١٨٤]، ثم الْغَائب فى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ثم الالْتفَات إِلَى المخَاطب فى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ثم الْغَائب فى قَوله: ﴿وَمَنْ كَانَ

مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثم المخاطب فى قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٨٥]، ثم الْتفَات إلَى مخَاطب آخَر وهو الرَّسول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ ثم المتكلم وهو سبحَانه وتعَالى فى ﴿عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [١٨٦]، ثم الْتفَات إلَى المخَاطب وهم المؤمنون: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [١٨٧].

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾، البدَاية بالمخَاطب وهو النَّبى فى إشَارة للسَّائلين، ثم المخَاطب وهم المؤمنون، مع إشَارة إلَى المعْتدين الكفَّار فى: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ ثم الغَائب: ﴿فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢١٧].

وقَوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ﴾ ثم حديث عنْه سبحَانه وتعَالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ﴾

الْبداية بالمخاطب وهو النَّبى فى إشَارة للسَّائلين، ثم المخَاطب وهم المؤمنون: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ثم الْتفَات إلَى مخَاطب وهو النَّبى فى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ ثم المخاطب وهم المؤمنون: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ ثمَّ حَديث عنه سبحَانه وتعَالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٢٠].

وقَوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ الْبدَاية بالمخَاطب وهو النَّبى فى إشَارة للسَّائلين، ثم مخَاطب آخَر وهم المؤْمنون: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ﴾ ثم حَديث عنه سبحَانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢].

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ البدَاية بالمخَاطب وهو النَّبى فى إشَارة لمسْتحقى الصَّدقَة، ثم حَديث عنه سبحَانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ثم إلْتفات إلَى المخاطب: المؤمنون: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [٢٧٢].

وقوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، وختَام السورة فى الْعَقيدة الإيمَانية الإسلامية، كَان هذَا عن الْغَائب، ثم الْتفَات الَى المتكلم وهم المؤمنون الْقَائلون: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، أي: هنَا كلمَة محذوفة مفهومَة من السياق وهى ﴿وقالوا لا نفرق بينَ أحَد من رسله﴾، بعده الْتفَات إلى الْغَائب فى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، أي: قال المؤمنون سمعنا ياربنا ما أوحيت به. ثم إلتفَات إلى المخَاطب سبحَانه مع إشَارة إلَى المتكلم: المؤمنين فى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [٢٨٥]، ثم

حَديث عنه سبحَانه وتعَالى فى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ثم الْتفَات إلى المتكلم وهم المؤمنون الذين يدعون ربَّهم قائلين: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [٢٨٦].

المبحث الثالث: أسْبَاب الالْتفَات

الالْتفَات لم يكن وجوده بمحْض الصّدفة، وإنَّمَا له فوائدَ عدَّة منها عامَّة ومنها خاصَّة، فمن الْفوائد الْعَامَّة التَّفنن والانْتقَال من أسْلوب إلى آخر "لتنشيط السَّامع، واستجلاب صفَائه، واتّسَاع مجاري الكلاَم، وتسْهيل الوزن والقافية."[1] كقَوله تعَالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة١]، فبمجرد سماعها يتنبه السَّامع ويحضر قلبه فيقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة٥].

قال الزمخشري: وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء٦٤]. ولم يقلْ (واسْتغفرْت لهم) في 'هذا) الالْتفات بيان تعظيم اسْتغفاره."[2]

المبحث الرابع: شرْط الالْتفات وفوائده

اولا: شرْط الالْتفَات

من شروط الالْتفات "أنْ يكون الضَّمير في المنتقل إليه عائدا في نفْس الأَمْر إلى المنتَقل عنْه، أنْ يَكون في جمْلتين، أي كلاَمين مستقليْن، حتى يمتنع بين الشرْط وجَوابه."[1]

---

[1]- انظر البرهان، ٣٩١/٣.

[2]- المرجع نفسه، ٣٩٣/٣.

لكن وقع الالْتفَات في الْقرْآن في كلاَم واحد، وإنْ لم يكن بين جزْأَي الْجملة، كقَوله تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ﴾ [القصص٥٩]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ [العنكبوت٢٣]، وقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب٥٠]، بعد قوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ [الاحزاب٥٠]، جمْلتا الشَّرْط والْجزاء واحد.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفتح٨-٩]، نتأمَّل سنجد هناك الْتفاتان: بين أَرْسلنا والْجلالة، والآخر بين الْكاف في قوله: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ- وَرَسُولِهِۦ﴾ وكل منهما في كلام واحد.

وقوله: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الاسراء٦٣]،

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة٢٨١]،

ثانيا: فوائد الالْتفات

الكثيرا من علمَاء البلاغَة يرون أنَّ للالْتفات غرضاً رئيسياً واحداً وهو: رفْع السَّآمة من الاسْتمرار على ضمير متكلم أوْ ضمير مخاطب، فينْتقلون من الْخطاب إلى الْغيبة، ومن المتكلم إلى الْخطاب أو الْغيبة، فيحسن الانْتقال من بعْضها إلى بعْض؛ لأنَّ الْكلام المتوالي على ضمير واحد لا يسْتطاب. ولعلَّ هذا الْغرض هو من أهم الأغراض؛ لأنَّ النّفوس تسْتريح ويتجدَّد نشاطها إذا انْتقل السياق من حال إلى حال وتغير لون الْكلام، لكن من الْخطأ حصر الالْتفات في هذا الْغرض فقط، لأن المتتبَّع للالْتفات وخصوصاً في الْقرْآن الْكريم

[1]- انظر البرهان، ٣٩٦/٣.

يجد له أغراضاً أخْرى كثيرة ومتعددة، مما يجْعل الالْتفات موضوعاً بالغ الأهمية في علْم الْبلاغة.

"من فَوائد الالْتفَات: تطرية الكلاَم، وصيَانة السَّمْع عن الضَّجَر والملاَل لما جبلت عليه النُّفوس من حب التَّنقلاَت، والسَّامة من الاسْتمرَار على منْوَال واحد."[1]

[1]- أنظر الاتقان، ١٧٣١/٥.

خاتمة

بعْدَ هذه الرّحْلَة في علوم الْقرْآن الْكَريم، وتفْسيراته الْعظيمَة ومدَارسة أقْوال الْعلمَاء الْعارفين بكتَاب الله الْعَلي الْقدير، وخاصّة من كتَب منْهم في هذَا الْفن كما سمَّاه البَعْض، وتحْليل الآيَات الْقرْآنية التي برزَت فيها ظاهرة التَّحول والانْتقَال من أسْلوب إلى آخَر، وهو ما عرفْنَاه بـ (الالْتفات). يمْكن أنْ نسْتخلصَ النَّتائج الآتيَة:

1- نجد أنَّ الاتفاق بيْنَ أصْحَاب المعاجم على أنَّ معنى الالْتفَات اللُّغوي هو التَّحول أو الصَّرف من جهة إلى أخْرى.

2- لم يكن موقع (الالْتفَات) في علم الْبلاغَة، من الأمور المتَّفق عليها بين البَلاغيين. فبعْضهم يعدُّه من المْعَاني، والآخر من البيَان والآخر من البديع. والرَّاجح أن يكون من المعَاني، لأنَّ المعنى هنا أسَاس ما قام عليه الالْتفَات كما رأيْنا.

3- إن الاتفَاق الذي وجدْناه في المعنى اللُّغَوي للالْتفَات، قابله اخْتلاف في المعْنى الاصْطلاحي لهذه الظَّاهرة، ممَّا قاد إلى الاخْتلاف في أقْسَام الالْتفَات عند علماء اللُّغة والتَّفْسير عامَّة.

4- لم يكن مصْطلح الالْتفَات هو الوحيد الذي أطْلق على هذه الظَّاهرة في اللُّغة، بلْ قابلَه مصْطلح آخر هو (تلوين الخطَاب أو الكلاَم).

5- إنَّ كل الْتفَات هو عدول، وليْسَ كل عدول الْتفَاتاً.

6- بلغ عدَد مواضع الالْتفَات في القرْآن الكَريم الكثير من المواضع. موضع كان الالْتفَات في الضَّمَائر أكثرها وروداً، في صيغة التَّكلم إلى الْغيبة وهو يدور على ستة طرق كما هي في الضَّمائر الثلاثة التَّكلم والْخطاب والْغيبة، تلاه في الأفْعَال ثم الأعْداد.

٧- إنَّ الانْتقال (من التَّكلم إلى الْغيبة) كان أكثر أنواع الْتفات الضَّمائر وقوعاً في الْقرْآن الْكريم، ثم (من الْغيبة إلى التَّكلم) في حين كان الانْتقال (من الْخطاب إلى التَّكلم) أقلها وروداً.

أمَّا في الأفْعال فكان الالْتفات (من الْمضارع إلى الماضي) اكثرها ورودا، أمَّا من (الأمْر إلى الْمضارع، ومن المضارع إلى الأمْر) أقلها ورودا.

أمَّا الأعْداد فكان (من الْواحد الى الْجمع) أكثرها ورودا.

٩- أمَّا الأقْسام الاخْرى مثل (المشْهد، الشخْصيات، الحدث، الزَّمن، التَّذكير والتَّأنيث، العاقل وغير العاقل، ..) لم يكتب عن هذا النَّوع من الأقْسام الاَّ الْقليل.

آملُ أنْ أكون قد وُفّقْتُ فيما بسطْته في هذا الْبحْث وما يتَّصل بـه وأنْ يكـون فيـه الْكفايـة لمـن أراد الإحاطـةَ والدرايـة بموضـوع **(الالْتفات في الْقرْآن الْكريم)** وعسى أنْ يكون في ذلك الْخيْر كله.

فأسْلوب الالْتفَات في الْقرْآن الْكَريم جاء في أعْلى المْنازل الْبيانيَّة وأرْفَع المراتب البلاغية، فهو أسْلوب يفيد الْكلاَم ظرافة وحسن تطرية، كما ينقله من أسْلوب الَى أسْلوب فيكون أدْخل في الْقلوب، وأخف على السَّمْع، وأجْلب للنَّشاط.

هذه الانْتقَالات والالْتفَاتات في الْقرْآن الْكريم بأنْواعها المْختلفَة لا تخلو من فوائد ولطائف، أفْصح عنْها المفسرون، وأبانوا القصْد منها، ولو تتبَّعت مسْلك المفسرين في تعْليل هذا الأسْلوب في الْقرْآن الْكَريم، لوقفت على فوائد في هذا الْبَاب فوق الذي ذكَرْناه.

أسْأل الله العَلي الْقَدير أن يغْفر تَقصيري، وأنْ ينْفَع بهَذا الْبَحْث ويغْفر لنَا ولوالدينا، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحْبه أجْمعين.

انتهى بعون الله بتاريخ: ١٩ ذي الحجة ١٤٤٣ هـ الموافق: ١٨ جويلية ٢٠٢٢م

مصادر ومراجع:

١)- مصادر:

١- مصحف القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

٢)- مراجع

ا- الأطروحات والرسائل الجامعية:

١. خديجة محمد احمد البناني: رسالة للحصول على درجة التَّخصص (الماجستير) في اللغة العربيَّة وآدابها بعنوان، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، المملكة العربيَّة السَّعودية، وزارة التَّعليم العالي، جامعة أم القرى، كليَّة اللغة العربيَّة- قسم الدراسات العليا.

٢. طاهر عبدالرحمان قحطان: الالتفات في البلاغة العربيَّة ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، جامعة صنعاء، كليَّة التَّربية. مجلَّة الدراسات الاجتماعيَّة، العدد التَّاسع عشر، يناير- يونيو٢٠٠٥ .

٣. محمد عبدالناصر (الرقم الجامعي ٣١..١٤٢٤٧) إشراف مصباح احمد نصر: رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة والنحو والصرف، عنوان الرسالة، التذكير والتأنيث في القرآن الكريم، (دراسة تطبيقية) المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى- كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة.

٤. معاذ مراد مقري: جامعة سيدي بلعباس، النص القرآني وبلاغة الأداء أسلوب الالتفات في سورة آل عمران، مجلة إشكالات،

دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست- الجزائر.

ب- كتب:

٥. أبو الحسن علي الحسني النَّدوي: الصراع بين الإيمان والماديَّة تأملات في سورة الكهف، الدار الشَّامية، لبنان بيروت- ط١ (١٤١٨هـ-١٩١٧م)

٦. أبو هلال الحسن بن عبد الله سهل سعيد يحيى مهران العسكري: الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٧. أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢ هـ): تفسير السعود (المسمى إرشاد العقل السليم الى مرايا القرآن الكريم)، ج١و ج٢- دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٨. أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠ هـ): مجاز القرآن الكريم، ج١ و٢- مكتبة الخانجي القاهرة.

٩. احمد بسَّام ساعي: المعجزة إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب التَّوزيع في العالم العربي، بيروت لبنان- ط1(١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

١٠. بدر الدين محمد بن عبدالله الزَّركشي (٧٤٥-٧٩٤): البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت- لبنان- ج٣- ط١-١٤١٠هـ -١٩٩٠م

١١. بسيوني عبدالفتاح فيود: من بلاغة النظم القرآني (دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع مدينة نصر القاهرة- ط١ (١٤٣١هـ-٢٠١٠م

١٢.جارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ): الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٨م)- مكتبة العبيكات، الرياض، (ج١-٢-٣-٤).
١٣.جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١): ج٥، الإتقان في علوم القرآن- المملكة العربيَّة السَّعودية وزارة الشؤون الإسلامية والدَّعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، الأمانة العامَّة – الشؤون العلميَّة.
١٤.حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيَّة، دار الفكر العربي للطَّبع والنَّشر، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)
١٥.دلدار غفور حمد: تفسير الكشَّاف للزَّمخشري، دار دجلة المملكة الأردنيَّة الهاشمية، ط١ (٢٠٠٧)
١٦.عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، دار السلام للنَّشر والتَّوزيع المملكة العربيَّة السَّعودية، ط٢(١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
١٧.عبدالله ابن المعتز ت (٢٩٦هـ): كتاب البديع- دار المسيرة بيروت، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية- ط٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ص٦٦.
١٨.م.م. احمد عامر سلطان الدليمي و م.م. هيثم محمد نوري: آداب الرافدين، فن الالتفات في القراءات السبع سورة البقرة أنموذجا، تاريخ التقديم/٢٠٠٨/٠٩/٠٣.
١٩.محمد الطاهر بن عاشور (تونس، ١٢٩٦ هـ/١٨٧٩م)، (١٣٩٣ هـ-١٩٧٣م): التحرير والتنوير، الدار التونسية- د ط- ج١.

٢٠.محمد عبدالخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، القسم الأول- الجزء الأول.
٢١.محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه- مع فوائد نحويَّة هامة، دار الرَّشيد- بيروت لبنان، ط2 (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، مج٢ ج٣ص١٩.
٢٢.محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنَّشر والتَّوزيع-بيروت، ط٣(١٤١٢هـ-١٩٩٢م) مج٧-.
٢٣.يوسف عبدالعزيز الشبل: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، دراسة تفسيريَّة، مجلة الدراسات القرآنية العدد (٢) ١٤٢٩هـ.

فهرست

العنوان	الصفحة
مقدمة	٠٦
الفصل الأول: مَاهية الالْتفَات	١٤
المبحث الأول: الالْتفَات مَفْهومه ونَشْأَته وتطَور مصْطلحه	١٤
المبحث الثاني: تَعْريف الالْتفَات:	١٩
المبحث الثالث: الالْتفَات في الْقرْآن الكَريم:	٢٠
الفصْل الثاني: أقْسَام الالْتفَات	٢٢
المبحث الأول: الضَّمَائر	//
الأول: من التَّكلم إلَى الخطَاب	//
الثاني: من التَّكلم إلَى الغيبَة	٢٦
الثالث: من الخطَاب إلَى التَّكلم	٦٨
الرابع: من الخطَاب إلَى الغيبَة	٦٩
الخامس: من الغيبَة إلَى التَّكلم	٧٩
السادس: من الغيبَة إلَى الخطَاب	١٠٦
المبحث الثاني: في الأَفعَال	١١٩
الأول: منَ الفعل المَاضي إلَى فعل الأَمر	١٢٠
الثاني: منَ المضَارع إلَى فعل الأَمْر	//
الثالث: منَ الفعل المَاضي إلَى المضَارع	١٢١
الرابع: منَ المضَارع إلَى الفعل المَاضي	١٢٥
الخامس: منَ الأَمْر إلَى المَاضي	١٣٠
السادس: منَ الأَمْر إلَى المضَارع	١٣١

المبحث الثالث: الأَعدَاد	١٣١
الأول: الالْتفَات منَ خطَاب الوَاحد إلَى خطَاب الإثْنين	//
الثاني: الالْتفَات من خطَاب الوَاحد إلَى خطَاب الجَمْع:	١٣٣
الثالث: الالْتفَات من خطَاب الإثْنين إلَى خطَاب الوَاحد:	١٤٢
الرابع: الالْتفَات من خطَاب الإثْنين إلَى الجَمْع:	١٤٣
الخامس: الالْتفَات من خطَاب الجَمْع إلَى الوَاحد:	١٤٤
السادس: الالْتفَات من خطَاب الجَمْع إلَى التثْنية:	١٤٧
السابع: بنَاء الفعل للمفْعول بعد خطَاب فاعله أو تكلّمه.	١٤٨
الفصل الثالث: أقْسَام أخْرَى للالْتفَات	١٤٩
المبحث الأول: (المشْهد، الشَّخْصيَّات، الحدث، الزَّمن، الجنْس، العاقل وغير العاقل.)	//
الأول: الْتفَات المشْهَد	//
الثاني: الْتفَات الشَّخْصيَّات	١٥٠
الثالث: الْتفَات الحَدث	١٥٢
الرابع: الْتفَات الزَّمَن	//
الخامس: الْتفَات الجنس	١٥٣
السادس: الْتفَات العَاقل وغير العاقل	١٥٥
المبحث الثاني: موَاقع الالْتفَات في سورَة البقَرة	١٥٦
المبحث الثالث: أسْبَاب الالْتفَات	١٦٣
المبحث الرابع: شرْط الالْتفات وفوائده	//
خاتمة	١٦٦
مصادر ومراجع	١٦٨